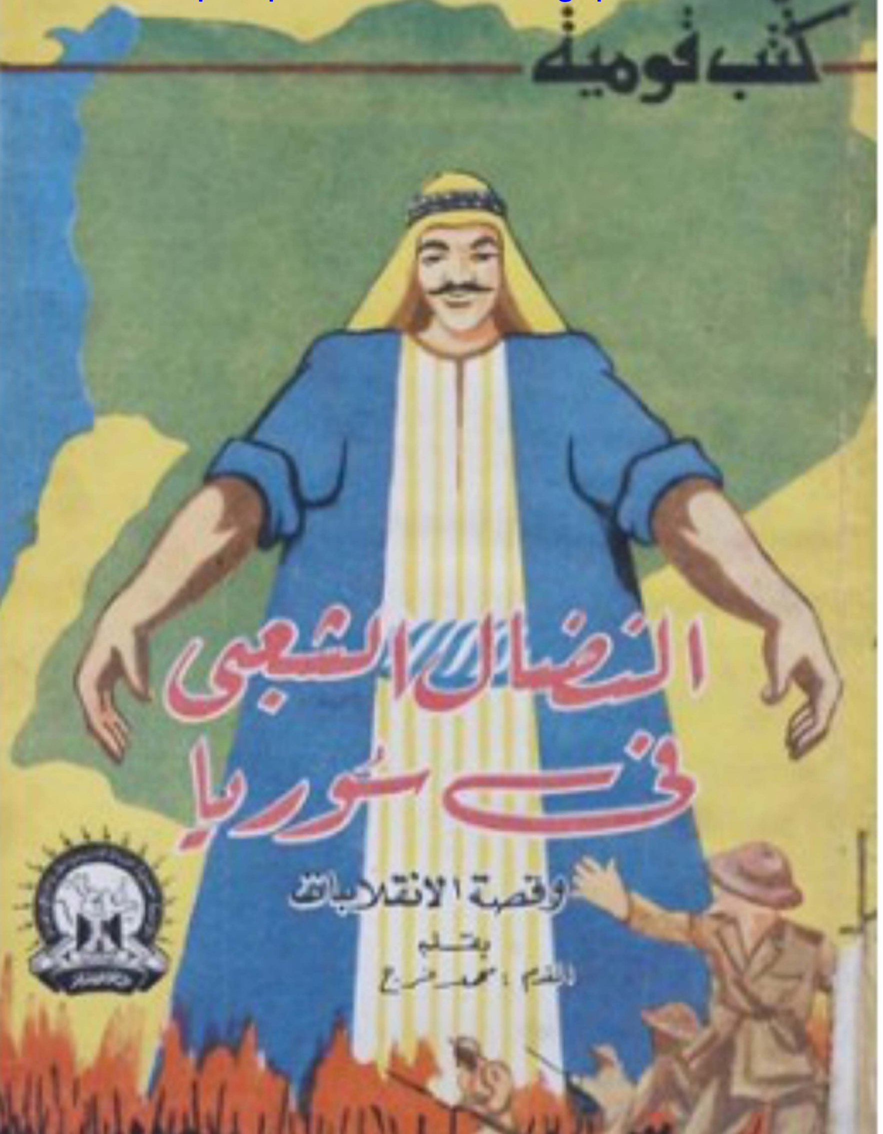
كتب قومية



النضال الشعبي في سوريا

وقصة الانقلابات

بقلم

القائم. محمد فرج

كتب قومية

النضال الشعبي في سوريا

و

قصة الانقلابات

مقـــدم

محمد فرج

تقديم

فى هذا الوقت الذى تحتل فيه انباء سوريا مكانا بارزا فى الاذاعات والصحف فى أنحاء العالم ...

فى هـذا الوقت ، الذى تتوالى فيه الاحـداث على الشعب العربى فى سوريا ...

فى هذا الوقت ، الذى تتوالى فيه الاحداث على الشعب تحاك حوله ، وتحطمت على صخرته كافة المحاولات الاستعمارية التى حاكها الاستعمار والصهيونية وعملائهمـا من الرجعيين والانتهازيين ...

يصدر هذا الكتاب عارضا قصة الانقلاب المتلاحقة التى توالت على سوريا الشقيقة فى مدى سنين قصـار ... مثبتا جوهر هذا الشعب العربى الابى ، وتمسكه الكامل بالقوة العربية، وايمانه بالوحدة العربية .. وتصميمه على القضاء على الرجعية والانتهازية والعملاء ..

ولقد أعلن الشعب العربى فى سوريا عزمه على المحافظة على مكاسبه التى حققهـا فى عهد الوحـدة ، والتى حاول العمـلاء والانتهازيون سلبها منه : وغدا سيشرق الصبح ويتبدد الظلام وتختفى خفافيش الرجعية الذين زيفوا الشعارات ، هادفين بذلك خداع الشعب العربى فى سوريا .

الا ان هذا الشعب ، كشف خداعهم واحبط خططهم ... مصمما على الاحتفاظ بمكاسبه الاشتراكية وعازما على تحقيق الوحدة العربية الشاملة ..

والمقدم محمد فرج ، كما يعرفه القراء بكتاباته الوطنية المخلصة خير من يتابع هذه الاحداث . لتكون ضوءا على الماضى يستشف من خلاله أحداث المستقبل الباسم للشعب العربى فى سوريا ... بل فى الوطن العربى الكبير ..

« لجنة كتب قومية »

مقدمة المؤلف

الثابت ان الشعب السورى هو دائما صاحب الكلمة الاولى وصاحب الرأى فى شئونه .. فى شئون حياته .. فى شئون دستوره .. فى شئون سياسته .. فى الشئون التى تتصل بمصيره ، يتضح هذا من التاريخ الطويل لشعب سوريا منذ كان يمثل جزءا من شعب الدولة العثمانية ، ويتضح أيضا عندما بدأت انجلترا وفرنسا وروسيا تتفاهم فيما بينها على سياسة التقسيم والتجزئة لولايات الدولة العثمانية عندما بلغ الامر بهذه الدولة حد الضعف والهزال وأصبحت موضعا لاطماع الدول الاستعمارية . ويتضح أيضا حينما قرر مؤتمر سان ريمو وضع سوريا تحت الانتداب الفرنسى وجاءت جحافل الفرنسيين لتحتل سوريا ولتفرض عليها فرضا قرار الانتداب . ويتضح أيضا حينما صبت مدفعية الجيش الفرنسى جام غضبها على دمشق وعلى مراكز الثورة ضدها فى سوريا . ويتضح كذلك فى سلسلة الكفاح المتصل والجهاد المستمر حتى حصلت سوريا على استقلالها واجبرت فرنسا على الرضوخ لارادتها والخروج بجندها من أرضها .

وفى خلال هذا التاريخ الطويل من الكفاح والجهادمن اجل بقاء الكلمة للشعب ومن أجل بقاء ارادة الشعب فوق كل ارادة كانت تمر بشعب سوريا فترات يفقد فيها الشعب قدراته وامكانياته ويظل خلالها تحت حكم النار والحديد . فقد مرت بتاريخ سوريا فترات تولى الامر فيها افراد لم يضعوا مصلحة سوريا أمام اعينهم وانما اسدلوا على هذه المصلحة ستارا كثيفا وبرزت امام اعين التاريخ المصالح الشخصية والمنافع الذاتية التى تملكت هؤلاء فجعلتهم ينظرون الى انفسهم .. الى مصلحتهم الخاصة يعتمدون فى موقفهم الخاطىء المعيب على قوة باغية تقف من خلفهم تشد من ازرهم او على قوة استعمارية تسعى الى فرض سلطانها على المنطقة العربية ووجدت فى هؤلاء الافراد النفوس

الضعيفة والقلوب الخاوية والعقلية التى لا تدرك الدور الكبير الذى يمكن للعرب ان يقوموا به من اجل سلام العالم وخيره ورفاهيته .

المهم ، ان هذه الفترات مرت بسوريا وتحكم فيها هؤلاء الافراد .. وهى فترات مظلمة طالت فى بعض الاحيان وقصرت فى البعض الاخر ولكنها فى الحالتين انتهت بفشل ذريع لهذه القوى الباغية والسلطة الطاغية وعاد الامر بعد كل فشل الى يد الشعب يصحح اوضاع حياته ويعدل سيرتها ويقيم فوق ارضه حياة ديمقراطية سليمة وفق رغبته وحسب مشيئته لا دخل لا جنبى فيها ولا نفوذ لمستعمر ولا اتجاهات ضد مصالحه ولا تعارض مع الركب العربى الذى يتقدم فى طريقه تحت راية القومية العربية نحو اهداف كبرى تحقق امل العرب فى الوحدة الكاملة الشاملة .

فى صباح ٣٠ ازار (مارس)١٩٤٩ استيقظ الشعب فى سوريا على صوت المذيع يعلن اذاعة البيان رقم (١) واستمع الشعب الى البيان الذى جاء فيه ان هناك انقلابا قام به الزعيم « حسنى الزعيم » يهدف الى تهيئة حكم ديمقراطى صحيح وكان هذا اليوم بداية لاحدى الفترات المظلمة التى اشرنا اليها وعاشها الشعب السورى مغلوبا على امره . فقد انتظر الشعب أن يتحقق ما جاء فى البيان رقم ١ ولكنه راى على مر الايام ان الحكم لم يعد ديمقراطيا صحيحا وانما اصبح حكما دكتاتوريا تغلب عليه صفة الفردية والنزعة الشخصية والمطامع والمصالح والاهواء والتخبط الدائم فى السياسة الخارجية واصبح صاحب الانقلاب ومدبره يجمع فى يديه السلطتين التشريعية والتنفيذية ويتولى رئاسة المجلس الحربى الاعلى ومنصب الحاكم العسكرى العام ثم اصبح بعد قليل رئيس الدولة .. وفوجئت البلاد به يسعى الى عقد صلح مع اسرائيل وانهاء المشاكل معها والاعتراف بها كما فوجئت به يعتمد على بعض العناصر غير العربية

كالاكراد والسركس .. هنا ضاق الشعب بحكمه وغضب عليه وانصرف عنه وتطلع الى قيادة جديدة تسعى الى تحقيق آماله .. وعندما أحس الشعب أن البيان رقم ١ قد فشل فى تحقيق ماحواه من وعود وآمال ضاق صدره بهذا البيان وبصاحبه واستطاعت القوى الشعبية أن تنتزع الدكتاتور من مكانه وان تهيىء الجو لقيادة اخرى قد تكون اكثر صلاحية ووطنية وايمانا بالقومية العربية .

وفى صباح ١٥ آب (أغسطس) استمع الشعب السورى فى الاذاعة الصباحية الى البيان رقم ١ الذى فهم منه أن انقلابا آخر قام فى الليل وان قائد هذا الانقلاب يقسم انهماقام بحركته وانقلابه هذا الا انقاذا لسمعة البلاد وكرامتها مما صارت اليه ، وللمرة الثانية صدق الشعب وعود الزعيم «سامى الحناوى» قائد الانقلاب الثانى وبدأ يتطلع الى عهد جديد تصحح فيه الاوضاع ويعود للشعب سلطانه وتسير الامور وفق رغبته وتأخذ سوريا وضعها الطبيعى مع الركب العربى المتحرك نحو تحقيق أهداف الامة العربية .

الا أن الوعود التى جاءت فى البيانات المختلفة التى تعاقبت بعد البيان الاول ذهبت ادراج الرياح ولم يتحقق منها شيء وانما ظهرت فى المجال السياسى فكرة تدعو الى قيام الاتحاد بين سوريا والعراق فيما سمى بالهلال الخصيب ورأى الشعب ان نورى السعيد مع ما له من تاريخ طويل فى خدمة الاستعمار يسعى سعيا حثيثا الى تحقيق هذا المشروع حتى انه كون حزبا خاصا يسمى حزب الاتحاد الدستورى وكان هدفه الاول بل هدفه الاكبر بل هدفه الاسمى هو تنفيذ المشروع والخروج به الى حيز الحقيقة الواقعة

وهب الشعب السورى ضد هذا المشروع اذ كيف يتحد شعب مستقل متمتع بسيادته وحريته ، حر فى تقرير سياسته

مع شعب لا يملك من امر نفسه شيئا ، وانما امره كله فى يد الانجليز ، هم الذين يرسمون له طريق حياته ، وهم الذين يخططون له سياسته .. وثار الشعب ضد هذا العهد الذى اراد ان يرمى به فى احضان دولة يسيطر عليها الانجليز وتعيش فى كنفهم وتحت نفوذهم .. واستطاع الشعب أن يفرض ارادته فتعثر المسئولون وسقط حكم الحناوى وانهار .

وفى صباح ١٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٩ اى بعد مرور اربعة اشهر على قصة البيان رقم ١ الذى اذاعه الحناوى على الشعب استيقظ الشعب السورى على اذاعته وهى تقدم له البيان رقم ١ الذى اصدره قادة الانقلاب الثالث فى سوريا والذى يخاطب فيه الزعيم اديب الشيشكلى الشعب السورى ويقول له « ان الجيش السورى بضباطه وجنوده عربى قومى ينشد الوحدة العربية الصحيحة وانه يرى فى المشروع الاستعمارى مؤامرة يقصد منها القضاء على استقلال سوريا وتحطيم جيشها، وانشاء عرش جديد ، يبعد تحقيق الوحدة المنشودة » ووقع هذا القول موقعا حسنا فى نفس الشعب السورى وتوقع ان يصدق البيان رقم ١ الذى اصدره الشيشكلى فيما وعد به الشعب من حماية المبادىء العربية والنزعة العربية .

الا ان الامور سارت على غير هوى الشعب وابتعد حكم الشيشكلى بعدا كاملا عن امال الشعب وامانيه وأصبحت هناك هوة كبيرة بين الاثنين .. بين الحاكم الذى انقلب الحكم فى يده الى دكتاتورية قاسية ترهب الوطنيين وتخدم مصالحه وميوله ونزعاته وبين المحكومين الذين ابوا وهم الاحرار ان يخضعوا لحكم فردى مطلق فناصبوه العداء وثاروا ضده فى كل مكان حتى اسقطوه وفر هاربا من الميدان فى شباط « فبراير » ١٩٥٤

وبدأت سوريا عهدا جديدا فرض فيه الشعب ارادته وحكم نفسه بنفسه واندفع مع بقية الشعوب العربية فى الطريق الذى خططته القومية العربية لتحقيق أهداف العرب جميعا فى الوحدة وفى قيام قوة عربية تمتد من المحيط الهادر الى الخليج الثائر .

ووقف الشعب فى سوريا بجانب اخوانه العرب فى جميع الدول العربية يشد من أزرهم فى نضالهم وجهادهم ووقف وقفة الصامد القوى امام محاولات الاستعمار فى

المنطقة العربية حتى انه يرجع اليه الفضل الإكبر بل الاخطر فى فشل المحاولات الكثيرة التى قام بها الإستعمار لتثبيت اقدامه فى المنطقة ولعل ابلغ دليل على ذلك انه وقف بجانب اخوانه فى مصر حين تعرضت بلادهم لعدوان آثم غاشم فى عام ١٩٥٦ واعلن شكرى القوتلى رئيس الجمهورية وقتئذ باسم الشعب السورى رغبة الجيش فى مساندة القوات المصرية المسلحة والمشاركة الايجابية فى المعركة كما اعلن رغبة الشعب هناك فى التطوع من اجل معاونة مصر والقيام بتبعاته كجزء من الامة العربية فى صد الاعتداء على مصر .. واجبر الشعب فى سوريا الحكومة فى هذا الوقت على قطع علاقاتها الدبلوماسية مع دولتى الاعتداء ثم كانت له مواقف اخرى مشرفة كتفجير انابيب البترول ومقاطعة السفن الاجنبية فى الموانى ورفع صوته قويا فى المحافل الدولية مناديا بوقف العدوان وسحب القوات المعتدية وتوقيع الجزاءات على الجانب المعتدى ..

ولعل ابلغ دليل على مواجهة شعب سوريا للاستعمار معارضته لمشروع ايزنهاور فقد كانت وقفته من العوامل الهامة التى ادت الى فشل المشروع فشلا ذريعا كما فشل من قبل مشروع حلف بغداد نتيجة لرفض الشعب السورى له ومعارضته اياه وتأليبه الشعوب العربية الاخرى ضده .

وفى ١٩٥٨ خطى الشعب السورى خطوة ايجابية نحو تحقيق هدف اساسى من اهدافه وهو تأكيد الوحدة العربية الشاملة فاجتمع ممثلو الشعب فى مجلس النواب السورى وقرروا الدخول فى مفاوضات سريعة عاجلة من اجل تحقيق الوحدة بين مصر وسوريا وقيام دولة واحدة موحدة تجمع بين الشعبين فى سوريا ومصر ...

وكان الشعب السورى صادقا فى دعوته مؤمنا بها ايمانا راسخا قويا حتى ان شكرى القوتلى قال « ان هذه الوحدة هى الاصل بين العرب وليس بالعجب ان نتحد ونتوحد بل العجب كل العجب ان نبقى على فرقتنا كما ارادها الاستعمار وكما فرضها اعداء الوحدة »

وظهرت فى الشرق العربى دولة جديدة قوية تحمى ولا تهدد

تصون ولاتبدد ، توحدولا تفرق ، تسالم ولاتفرط تسعى الى توحيد قوى العرب . قد اخذت على عاتقها السير بالمركب العربى التحررى والوصول به الى ما يتوق من حياة افضل وعيش امثل ووحدة شاملة ومجد منتصر .

واستقبلت الشعوب العربية قيام هذه الدولة بفرحة وحماس وسرور لانها رات فى قيامها الخطوة الاولى نحو التحرر العربى والتجمع فى صفوف متراصة من اجل تحقيق وحدة العرب .

ورغم رنة الفرح العميقة التى دوت فى أرجاء الامة العربية فان بعضا من حكام العرب قابلوا مولد هذه الدولة بالوجوم والحزن والالم وباتوا يتطلعون الى اللحظة التى تنفصم فيها هذه الوحدة ولم يكن مرد ذلك الا الى شيء واحد هو ان هؤلاء الحكام يحكمون بلادهم دون رغبة شعوبهم فهم يريدون لهذه الشعوب أن تكون بعيدة عن صور الوحدة والتضامن العربى لانهم يرون فى ذلك خطرا على وجودهم كحكام وخطرا على كيانهم كرؤساء دول لان احدا منهم لم يفكر يوما فى ان يتقرب الى شعبه وان يحكم بما تمليه ارادة الشعب وان يسوس شعبه بالعدل والمساواة وان يأخذ بيد شعبه الى مراتب العزة والقوة والسيادة .

وكما قابل هؤلاء الحكام مولد الجمهورية العربية المتحدة بهذه الصورة الكريهة وبأبشع ما تكون المقابلة ، كذلك أيضا قابل الاستعمار قيام هذه الدولة فقد رأى فى وجودها خطرا على نفوذه فى المنطقة ورأى أنه لو ترك لها الامر لاستطاعت أن تجمع العرب جميعا فى صعيد واحد وهنا تكون الطامة الكبرى عليه اذ سيفقد الى الابد ماله فى المنطقة ولهذا اهتز منه الجسد اهتزازا عنيفا حين قامت الجمهورية العربية المتحدة فقد توازنه ولم يستطع السيطرة على نفسه فقد كان من وجهة نظره امام كارثة محققة ولهذا أسرع يمد يده الى الحكام الذين يميلون اليه والذين كان موقفهم من قيام الجمهورية هو ما أوضحناه فى السطور القليلة

الماضية وسرعان ما تعاون الاثنان .. الاستعمار وأعوانه فى المنطقة وبدا الاثنان يشكلان قوة تقف فى وجه الدولة الجديدة .

وفى ٢٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٦١ استيقظ الشعب العربى فى سوريا على صوت المذياع يعيد الى اذهانه الصورة الكريهة التى ارتسمت فى مخيلته منذ استمع الى البيان الاول فى فجر ٣٠ مارس ١٩٤٩ .

لقد فوجىء الشعب بصوت المذيع ينبئه ان انقلابا ضد الوحدة قد تم تحت ستار الليل وظهر البيان رقم ١ من جديد على مسرح السياسة فى سوريا ليعلن فصم الوحدة وقيام دولة مستقلة فى سوريا .

وكان للنبأ وقع الصاعقة على الشعب العربى فى سوريا فقد هزته الفاجعة واثارته دعوة الانفصال ورأى خلال دموعه بناء ضخما اقامه بسواعده ينهار تحت رغبات فردية جاهلة غير مخلصة تستند لا على ارادة الشعب بل على ارادة الاستعمار وعلى ارادة المأجورين من رؤساء الدول والحكام فى المنطقة العربية

ووقف الشعب وكأن على رأسه الطير ، يفكر فى ماضيه وفى كفاحه وفى جهاده وفى الوحدة التى بناها بعرقه ودمه وارواح الشهداء الابرار التى ازهقت خلال تاريخ طويل متصل من الكفاح والجهاد والبذل والتضحية .

وتحت عوامل النار والحديد والتعذيب والتنكيل والسجن والتشريد والقتل والارهاب خفت صوت الشعب فى سوريا وامتثل مرغما مكرها للأمر الواقع ولكن الدارسين لتاريخ الكفاح الشعبى فى سوريا والفاهمين للعواطف الشعبية هناك والمتعمقين فى فهم المشاعر النبيلة للشعب السورى يقولون ان الهدوء الذى يشمل سوريا فى هذه الآونة هو الهدوء الذى يسبق العاصفة ويتوقعون انتفاضة شعبية قوية مدعمة بالايمان معززة بحب الوحدة مسلحة بالامل الكبير فى قيام دولة عربية واحدة مزودة بمبادىء القومية العربية يتوقعون انتفاضة كهذه فى الطريق وان الله لها خير رفيق وانها ستكلل بالنجاح والتوفيق .

ان التاريخ يقول ـ وقوله دائما مدعم بالادلة والبراهين ـ ان الشعب فى سوريا هو دائما صاحب الكلمة الاولى فى شئونه وسيظل قول التاريخ هذا حقيقة واقعة ملموســـة فى مستقبل ايام الشعب السورى دون تبدل أو تغير وستظل الارادة الحرة فوق أرض سوريا هى ارادة الشعب والشعب وحده .

وليس لنا فى ختام هذه المقــدمة الا ان نردد قول الرئيس جمال عبد الناصر : « أعان الله سوريا الحبيبة على امورها وسدد خطاها وبارك شعبها » .

محمد فرج

القسم الاول

النضال الشعبي فى سوريا

١ ــ ضد الدولة العثمانية
٢ ــ ضد الانتداب الفرنسى
٣ ــ فى ظل الحكم الوطنى

- ١ -

النضال الشعبي ضد الدولة العثمانية

تنبهوا واستفيقوا ايها العرب
فقد طمى السيل حتى غاصت الركب
اقداركم فى عيون الترك نازلة
وحقكم بين ايدى الترك مغتصب

استولت الدولة العثمانية على معظم البلاد العربية خلال القرن السادس عشر وفى مدة لاتتجاوز الاربعين عاما وكانت معركة مرج دابق بالقرب من حلب وهى اول اشتباك بدأت به الدولة العثمانية تقدمها فى الاراضى العربية وكان انتصار السلطان سليم فتحا لباب المنطقة العربية امام قوات العثمانيين ..

ولقد كانت سوريا اول جزء من الوطن العربى تستولى عليه قوات العثمانيين وظلت سوريا ولاية عثمانية خاضعة للنفوذ العثمانى ،ولعل من اهم عوامل هذا الخضوع ان الدولة العثمانية كانت دولة اسلامية يحمل كل سلطان من سلاطينها لقب خليفة المسلمين .. الا ان الشعب فى سوريا كان فى هذه الفترة ينقسم من حيث التبعية الى اراء متعددة .. فرأى كان يمثل بعض القانعين بالعيش فى استكانة وخضوع للدولة طالما انها دولة اسلامية تدين بالاسلام .. ورأى يرى اصحابه ان الخلافة يجب ان تكون للعرب ويرون ايضا ان الخليفة العثمانى قد انتزع منهم الخلافة بالاغراء ،والاكراه بعد ان استولى السلطان سليم العثمانى على مصر وانه من الواجب ان تعود الخلافة من جديد الى اصحابها وان تقام خلافة عربية .. ورأى ثالث يطالب بقيام السلطنة باصلاحات شاملة دون تبدل او تغير فى اوضاع البلاد العربية ورأى رابع يصر اصحابه على ضرورة منح البلاد العربية فى الدولة سلطة واسعة ، ومن وراء هذه الآراء كلها برز رأى آخر امنت به فئة من شعب سوريا ينادى بضرورة انفصال البلاد العربية عن الدولة العثمانية .

ان وجود هذه الآراء المختلفة وانقسام الشعب السورى حيالها تؤكد حقيقة واقعة وهى ان الشعب فى سوريا كان يؤمن بذاتيته وبشخصيته وبعروبته كما كان يؤمن بضرورة تخلصه من اية سيطرة غير عربية ، ولا يختلف اثنان فى ان الحركة القومية العربية ظهرت اول ما ظهرت فى دمشق ثم اخذت بعد ذلك تنتشر فى سائر الاقطار العربية ، وكانت بلاد الشام هى المنار الذى شعت منه انوار القومية العربية منذ اواسط القرن التاسع عشر وكان من روادها الاوائل ناصف اليازجى وبطرس البستانى والشيخ يوسف الاسير .

ولقد برزت النزعة القومية العربية الحديثة مع اليقظة العلمية والادبية الحديثة ففي عام ١٨٥٧ الفت في بيروت الجمعية العلمية السوريه وكانت تهدف اول ما تهدف الى ايجاد نهضه ثقافيه بنشر العلوم والآداب واحياء التراث العربي وكان من اهم اعضائها الشاعر ابراهيم اليازجي الذى اطلق اول نداء للقومية العربية عرفناه في تاريخنا الحديث ونشر كثيرا من شعره يدعو فيه العرب الى الاتحاد والتضامن والجهاد من اجل التخلص من الحكم العثماني وردد الكثيرون من شباب العرب في دمشق وبيروت قصائده فكانت بحق أول بذرة في حقل القومية العربيه .

وبدأ الشعور القومي في سوريا ينمو ويزدهر حتى انه في ١٨٧٥ تألفت جمعية سرية كانت تمثل اول عمل منظم للحركة القومية العربية وكانت الجمعية ذات اهداف ثورية ولها فروع في دمشق وطرابلس وصيدا وظهرت لاول مرة في تاريخ العرب لاصقات ولافتات على جدران الشوارع والمنازل تذكر قبائح الحكم التركي ومساوئه ومحاولة الاتراك القضاء على اللغة العربية واغتصابهم الخلافة من العرب وتحرض العرب على الانتفاض والثورة وفي هذا المجال ذكر جورج انطونيوس في كتابه يقظة العرب ان القنصل البريطاني في بيروت جمع بعضا من هذه اللافتات وبعث بها الى

حكومتــه وذكر جورج انه اطلع على هــذه اللافتــات في مكتب السجلات العامة في لندن وانه وجدها تحوى اهدافا جليلة سامية يحددها برنامج سياسي اخذت الجمعية على عاتقها ان تنفذه ومن هذه الاهداف منح سوريا الطبيعية استقلالها والاعتراف باللغة العربية واستخدام المجندين الســوريين داخل نطاق ســوريا وليس خارجها .

واشتهرت في سوريا حلقــة الشــيخ طــاهر الجزائرى التي كانت تخدم هدفين احدهما ظاهر : هو دراســة التاريخ العربي وقواعد اللغة ، والآخر خفي : هو تلقين شباب العرب الوســائل المؤدية الى بعث العروبة من رقادها ، وكان شباب هذه الحلقة اشهرهم محب الدين الخطيب وعارف الشــهابي وعثمان مردم ولطفي الحفار وصلاح الدين القاسمي ، يقتصرون في دعوتهم السرية على برنامج سياسي محدد وهو مطالبة الدولة العثمــانية باتخاذ

نظام لامركزى يضمن للعرب حقوقهم فى الحكم ويجعل لغتهم لغة رسمية فى مدارس الحكومة ودواوينها ومحاكمها .

وفى سنة ١٩٠٦ اسس الشباب العربى جمعية النهضة العربية وانتخب محيى الدين الخطيب رئيسا لها وصلاح القاسمى امينا عاما ، ويؤكد الباحثون فى تاريخ القومية العربية ان هذه الجمعية كان لها تاثير كبير فى بث الشعور القومى الواعى فى جميع انحاء سوريا ، والشىء الهام الذى يجب ان نوضحه وان نسلط عليه الاضواء هو ان اعمال شباب العرب الذى انضم الى هذه الجمعية كانت تصدر كلها عن عقيدة ثابتة راسخة وخطط محكمة صائبة وشعور جارف عميق بالتبعة والمسئولية .

ولقد ظهر كتابان لعبد الرحمن الكواكبى كانا ذا اثر كبير واضح فى نفوس النشىء العربى .. كان الكتاب الاول « طبائع الاستبداد » صرخة فى وجه المستبدين ودعوة الى نهضة اجتماعية تتحطم فيها اغلال الاستبداد الذى نشر ظله السلطان عبد الحميد ويعيش فيها العرب اعزة اقوياء كرماء ينعمون بالحرية .. وكان الكتاب الثانى « أم القرى » يلقى على عاتق المسلمين عبء تأسيس خلافة عربية تكون مكة مقرها وعاصمتها .

وظهر كتاب آخر كان له هو الآخر اثره العميق فى نفوس النشىء العربى وهو الكتاب الذى أصدره نجيب عازورى باسم «يقظة الامة العربية» ، ولقد طالب المؤلف بانفصال الولايات العربية عن الدولةالعثمانية وبقيام خلافة عربية يكون مقرها فى الحجاز كما طالب بان تكون الشام والعراق دولة عربية واحدة .

ولقد تولى الشعب فى سوريا قيادة اولى معارك العرب ضد العثمانيين وخاصة ضد أولئك الذين آمنوا بالفكرة التركية وبتتريك الولايات العربية .. فمن المعروف ان السلطان عبدالحميد ما ان تولى مقاليد الامور فى الدولة حتى الغى الدستور ونكل بالاحرار وحكم البلاد حكما فرديا مطلقا تتمثل فيه الدكتاتورية المستبدة العنيفة حتى اجبر فى عام ١٩٠٨ على اعادة الدستور ولكنه استطاع ان يثير فئة من الجند تحت شعار الغيرة على الدين فتآمرت على ضباطها وازهقت ارواحا بريئة وطالبت بالغاء الدستور

ولكن الجيش تنبه الى خطورة الموقف وساءه تصرف السلطان فحرك قواته فى سرعة وقضى على الحركة وتسلم زمام الامور واطاح بالسلطان عبدالحميد وطويت صحائف تاريخه .. والذى يهمنا من هذه الاحداث هو ان العرب سعدوا بصدور الدستور حتى ان جمعية النهضة العربية اقامت احتفالا كبيرا فى دمشق كان من خطبائه لطفى الحفار والقاسمى وزكى الخطيب ولعل مبعث سعادتهم هو انهم احسوا ان انتهاء حكم السلطان عبدالحميد الذى يمثل الاستبداد المطلق وبداية لعهد آخر يستطيعون فيه ان يجدوا حرية تأليف الجمعيات وحرية الاجتماع والمدارسة فى شئون العالم العربى .

الا ان الامور لم تسر فى الطريق الذى توقعه العرب الاحرار فقد ظهرت فكرة الطورانية وبدأ رجال الاتحاد والترقى يسعون الى تطهير اللسان التركى من الانفاظ العربية والتنكر للاسلام هذا بالاضافة الى سوء السياسة التى اتبعها الحزب حيال البلاد العربية وخاصة حين اعد تجريدة عسكرية لاخضاع اليمن فسحب القوات من طرابلس الغرب مما ساعد ايطاليا وسهل عليها احتلالها فى ١٩١٢ حيث لم تجد امامها القوة التى تستطيع ان تصدها او تردها .

ولقد ادرك شباب العرب المؤمن بالقومية العربية ان الحصول على حقوقهم يحتاج الى جهاد منظم يقوم على اسس سليمة وبدأ الشباب العربى التفكير فى تأليف الجمعيات القومية السرية كالجمعية القحطانية وجمعية العربية الفتاة وجمعية العهد وجمعية الاخاء العربى والمنتدى الادبى واتصل الشباب بنخبة من الضباط وتم التفاهم بين الطرفين واتفق على ان يضع المدنى يده فى يد العسكرى وان يشكلا معا قوة واحدة تسعى لتثبيت فكرة القومية العربية فى النفوس والقلوب ولتحقيق امل العرب واهدافهم فى قيام حكومة عربية واعية مستقلة .

ومن أجل هذا دعا العرب الى عقد مؤتمر وطنى عام خارج البلاد ليتدارسوا فيه مطالبهم وليضعوا خطة العمل القادمة وانعقد المؤتمر فعلا فى باريس فى ١٧ حزيران (يونيه) ١٩١٣ واشترك فيه

ممثلون لمختلف الجمعيات العربية بالحضور او بالتأييد بالبرقيات والرسائل .

ومن الجدير بالذكر ان بعضا من العرب المهاجرين الى المكسيك حضروا هذا المؤتمر واشتركوا فيه ..

وبذلت حكومة الاتحاد والترقي جهودا كبيرة لتعطيل أعمال المؤتمر ولكنها أحست انها قد فشلت في مهمتها اذ نجح المؤتمر نجاحا بعيد المدى اضطرت معه الى ان ترسل الى المؤتمر احد اعضائها البارزين وهو مدحت شكري ليفاوض مع المؤتمرين وتم اللقاء بينه وبينهم ودارت محادثات انتهت الى اتفاق عام على كثير من المطالب التي اقرها المؤتمر وعاد مدحت شكري الى استنبول ومعه عبد الكريم خليل مندوبا عن المؤتمر ليعرضا معا على طلعت بك وزير الداخليـة اسس الاتفاق وتم فعلا وضع صيغة نهائية وقع عليها طلعت بك وعبدالكريم خليل وتطلع العرب على اثر ذلك الى حياة جديدة تقوم على اساس من التفهم والود بين العرب والاتراك الا ان الحوادث توالت بعد ذلك وقامت الحرب العالمية الاولى فتغيرت مجرى الامور وكشرت حكومة الاتحاد عن انيابها وأرادت ان تستغل فرصة اشتعال نار الحرب لتقضي على القومية العربية ولتعمل على تتريك العرب بالقوة .. ومن اجل تحقيق ذلك عينت الدولة العثمانية وزير الحربية احمد جمال باشا ليكون قائدا للجيش الرابع وامتد سلطانه الى الشام والحجاز واطلقت يده في ادارة شئون البلاد ادارة عرفية استبدادية مطلقة ودخلت سوريا في معركة حاسمة ضد العثمانيين وبدأ الشعب السوري يستعد لخوض المعركة في ثقة وأمل ، وفي بداية عهد جمال باشا أخذ يدرس احوال القوميين العرب حتى اذا ما توفرت لديه المعلومات الكاملة عنهم راح ينفذ سياسته في وحشية قاسية عنيفة سمي من اجلها وبسببها بالسفاح فقد اتجه الى الشباب في الامة فجنده وسيره الى ميادين القتال في الدردنيل وجبال القفقاس ... واتجه الى الرجال والشيوخ فملأ بهم المعتقلات والسجون ونشر الرعب والفزع والارهاب والف المحاكم العسكرية تأتمر بأمره وتصدر احكام الاعدام بالجملة فسقط عبدالكريم الخليل وصالح حيدر ومحمد محمود المحمصاني ومسلم عابدين وعارف الشهابي

وعبدالحميد الزهاوى وامين الحافظ وتوفيق البساط وغيرهم من ابطال القومية العربية فى سوريا .. واصدر السفاح الاحكام الغيابية بالقتل فشملت ستين رجلا منهم شكرى غانم وابراهيم النجار وحقى العظم ورشيد رضا .. وظل السفاح على سياسته فنفى مئات الاسر العربية الكريمة الى الاناضول حيث يمكن تتريكهم فيتركون قوميتهم ويدينون بقومية الترك .. كما احتكر السفاح الحبوب والغلات الزراعية وغالى فى ثمنها حتى انتشرت المجاعة فى البلاد وهلكت مئات الالوف من اهل سوريا جوعا كما انتشرت الامراض والاوبئة فى جميع انحاء البلاد واصبح الناس هناك يشكون المرض بجانب الفقر والجوع والحرمان .

وكان من الطبيعى ان يفكر القوميون العرب فى سوريا فى مصير امتهم بعد هذه الجرائم الوحشية التى اقترفتها حكومة الاتراك وبعد هذا التنكيل والتهديد والنفى والتشريد والتعذيب والقتل الذى عومل به الشعب العربى فى سوريا .

وبدأ اهل الرأى من الساسة والزعماء يبحثون فى امر انفسهم وامر اخوانهم العرب وتطلع الشعب العربى فى سوريا الى اخوانه العرب فى جميع المنطقة العربية ليكونوا جميعا يدا واحدة ضد عدوهم المشترك .

وكان من حسن الطالع ان السفاح لم يهتد الى وجود جمعية العربية الفتاة فظل امرها مجهولا عنده وقامت هذه الجمعية بايفاد بعض من اعضائها الى مصر والحجاز ونجد لمشاورة اخوانهم العرب فيما يجب أن يتخذوه جميعا من خطوات .

واتفقت الكلمة واستقر الرأى على القيام بثورة عربية عامة ضد الاتراك .. ولكن كيف السبيل الى ذلك والشام والعراق مكتظتان بالجند الاتراك والسفاح هناك يحكم البلاد بيد من حديد والعسكريون من العرب مبعثرون فى مختلف ميادين القتال واخيرا استقر الرأى على ان خير مكان تندلع منه نيران الثورة هو الحجاز وتم الاتصال بين افراد جمعية العربية الفتاة وجمعية العهد وبين الامير فيصل ابن الشريف حسين وتم التفاهم بين الاطراف المعنية بالامر .

وفى ١٠ حزيران (يونيه) ١٩١٦ اعلن الشريف حسين فى مكة قيام الثورة العربية الكبرى ضد الدولة العثمانية ..

ونجحت الثورة .. وتخلصت سوريا لاول مرة منذ عام١٥١٦ من الحكم العثمانى الذى جثم فوق صدرها زهاء اربعمائة عام ذاق اهلها خلالها الاهوال ..

ان الشعب السورى العربى الأصيل الذى يؤمن بالقومية العربية وبدوره الكبير فى خلق دولة عربية كبرى رفض ان يذل وابى ان يخضع لحكام مستبدين ظالمين ولهذا استغل الثورة ضد حاكميه بل ضد جلاديه واستطاع اخيرا بعد جهاد متصل وكفاح مستمر ان يجعل السيادة فوق ارضه له وحده وفق رغبته ... وارادته .. ومشيئته

- ٢ -

النضال الشعبي في عهد الانتداب

> وقفتم بين موت او حيــــاة
> فأن رمتم نعيم الدهر فاشقوا
> وللاوطان في دم كل حــر
> يد سـلفت ودين مسـتحق

لم تنعم سوريا بالهدوء الذى كانت تطمع فيه بعد مرحلة الجهاد التى ادت الى التخلص من السيطرة العثمانية فالم تكد تنتهى من هذه المرحلة حتى وجدت نفسها مساقة الى مرحلة جديدة من الجهاد الشعبى ضد قوى الاستعمار .

فشعب سوريا كان يتطلع الى ان يتولى بنفسه اموره والى ان تكون له وحده السيطرة على جميع شئونه وكان هذا هو الهدف الكبير الذى سعى اليه الشعب العربى فى سوريا منذ بدأت نزعة القومية العربية تأخذ طريقها نحو التخلص من الحكم التركى ..

وواضح ان جمعية العربية الفتاة اشترطت لانضمامها الى الثورة العربية الكبرى ان تقوم دولة عربية كبرى مستقلة استقلالا تاما اذا ما كللت الثورة بالنجاح والتوفيق وحددت هذه الدولة فشملت الشام والعراق والجزيرة العربية .

وقامت الثورة العربية ونجحت وانتصر العرب وطردوا الترك من بلادهم ، ولكن هل تحقق الهدف الكبير الذى كانت تنشده الثورة من قيام دولة عربية مستقلة ؟؟ لا .. لم يتحقق الهدف .. ولم تقم الدولة العربية .. واصبح امام الشعب العربى فى سوريا ان يدخل معركة جديدة يستخلص منها لنفسه الحرية والسيادة والاستقلال .

ولنبدأ المعركة من اولها ..

فى خلال عام ١٩١٦ وفى المدة مابين شهرى شباط (فبراير) وشهر ايار (مايو) على وجه التحديد عقد اتفاق فرنسي ــ انجليزى عرف باسم سايكس بيكو نسبة الى سير مارك سايكس ومسيو شال فرانسو بيكو اللذين كانا طرفى الاتفاق الذى كان ينص على تقسيم سوريا والعراق الى دولة عربية مستقلة فى منطقتين احداهما : تحت النفوذ البريطانى والاخرى تحت النفوذ الفرنسى .. من الطبيعى ان يتم هذا الاتفاق فى الخفاء بين الدولتين وحمل الوزيران نص الاتفاق الى سازونوف وزير خارجية روسيا

فاترة يوافق عليه .. ومن الطبيعي ايضا ان احدا من زعماء العرب ماكان يعلم شيئا عن هذا الاتفاق

المهم هو ان الشام قطعت أوصاله بعد الحرب فقد اطلق عليه الحلفاء اسم بلاد العدو المحتلة وقسموه الى ثلاث مناطق تركت المنطقة الشرقية للامير فيصل وجعلت المنطقة الغربية تحت سيطرة فرنسا يتولى قيادتها الكولونيل بيباباب وتركت المنطقة الجنوبية للانجليز يتولى أمورها الجنرال بولز وعين الجنرال النبي مشرفا عاما على المناطق الثلاث

وكما كانت دمشق المركز الذى تشع منه انوار القومية العربية فى الماضي فقد اصبحت فى هذه الآونة ايضا مركز الاشعاع الذى تصدر عنه الخطط لمكافحة الاستعمار الفرنسي والاستعمار البريطاني .

وفى ١٨ كانون الثانى (يناير) ١٩١٩ عقد فى باريس مؤتمر الصلح واتخذ المؤتمر قرارا بأن تفصل البلاد العربية كلها عن الدولة العثمانية على أن يشرف عليها وصى يعمل باسم عصبة الامم ، وطلب الرئيس الامريكى ولسون من مؤتمر الصلح ارسال لجنة دولية تستفتى أهل الشام والعراق فى الدولة التى يريدونها لتتولى مهمة الانتداب عليهم الا ان انجلترا وفرنسا رأتا فى ارسال هذه اللجنة خطرا على مصالحهما فقد يأتى قرار اللجنه ضد مطامعهما ولهذا حاولا قدر استطاعتهما عرقلة ارسال اللجنة ولكن الرئيس الامريكى قرر ارسال لجنة أمريكية هى لجنة كرين Crane وما كادت هذه اللجنة تصل الى دمشق حتى شهدت العاصمة السورية مشهدا تاريخيا رائعا اذ كانت تموج بأهلها كأنهم فى ثورة عارمة مضطرمة ، لا تنفك الاحزاب والجماعات عن العمل الدائم المستمر ، وطافت اللجنة بأنحاء البلاد وقابلت الوفود والأهالى على اختلاف طبقاتهم ومللهم وقضت اللجنة ستة أسابيع وتلقت اكثر من الف وثمانمائة عريضة وزارت جميع المناطق ثم عادت لتقدم تقريرا اثبتت فيه اقتناعها بالرغبات التى ابداها الشعب العربى فى سوريا وهى ان يكون الشام قطرا متحدا مستقلا تماما تساعده دولة أجنبية – تكون أمريكا أو انجلترا بمساعدات مالية وفنية وأن يكون لبنان

ذا استقلال داخلى وان تحدد الهجرة اليهودية الى فلسطين وأن تبعد نهائيا فكرة تهويدها واقامة حكومة يهودية فيها

وجاء عام ١٩٢٠ وعقد مؤتمر سان ريمو فى ٢٦ نيسان (ابريل) وتقرر فى هذا المؤتمر منح فرنسا حق الانتداب على سوريا ولبنان وأبلغ المارشال النبى الامير فيصل بهذا القرار

وثار الشعب العربى فى سوريا على هذا القرار واعلن أنه يرفضه وانه سيقاتل ويحارب من أجل استقلاله وانه سيقدم ارواحه ودماءه فى سبيل سيادته وحريته واستقر الرأى على وضع دولتى الاستعمار أمام الأمر الواقع ودعى المؤتمر السورى الممثل لسكان الشام للانعقاد فى النادى العربى وفى هذا الاجتماع التاريخى أعلن المؤتمر استقلال سوريا وتولية فيصل بن الحسين ملكا عليها ... ورفضت انجلترا وفرنسا الاعتراف بهذا القرار واعتبرتاه مخالفا لقرارات مؤتمر الصلح وخروجا من الشعب العربى على الارادة الدولية .

وفى ١٤ تموز (يولية) ١٩٢٠ وجه الجنرال غورو انذاره الشهير الى الملك فيصل طلب فيه قبول الانتداب وتسريح الجيش والغاء التجنيد الاجبارى والسماح باحتلال حلب ومحطات سكة حديد حلب ـ رياق ...

ولما وردت الاخبار الى دمشق هاجت النفوس وعظم القلق وبرزت ثلاثة اتجاهات ... اتجاه شعبى للمقاومة والدفاع واتجاه المؤتمر للمقاومة والدفاع أيضا واتجاه الحكومة وكان ذا رايين راى يرى تفاوت القوى ويفضل الميل الى الحلول السليمة وراى يرى رأى الشعب والمؤتمر ... وكان الاتجاه الاقوى يميل الى المقاومة المستميتة اعل الضمير العالمى يهتز فيتدخل ليمنع فرنسا من التمادى فى عدوانها

وفى ١٠ تموز (يوليو) عقد المؤتمر السورى جلسة عنيفة وقرر عدم اعترافه باى عقد أو ميثاق لا يعرض عليه ولا يؤخذ رايه فيه

ولما رأى المؤتمر ان الحكومة قد رات ان تقبل شروط

الانذار اشتدت حملته عليها ، وكان الجنرال غورو قد قرر الاستيلاء على سوريا وأمر جيوشه بالزحف على دمشق وخرجت الجموع العربية ، تواجه المعتدين ، والتقى الشعب السوري بقيادة يوسف العظمة بجيش الفرنسيين في ميسلون وكانت موقعة بين قوتين غير متكافئتين استشهد فيها العظمة ودخلت قوات فرنسا دمشق واحتل الفرنسيون سوريا وطلبوا خروج الملك فيصل فرضخ لارادتهم وغادرها وسرحت الجيش والغت وزارتي الحربية والخارجية وأقامت مفوضا ساميا في دمشق واصبح هو مصدر السلطات ووضع الفرنسيون في ايديهم كل دوائر الدولة ومصالحها وسلبوا الحكومة السورية كل حق وكل سلطة

ثم رأت فرنسا أن تجزىء بلاد الشام فأقامت دولة لبنان الكبير بعد أن سلخت من سوريا بيروت وصيدا وصور وطرابلس وبعلبك والبقاع وحاصبيا وراشيا وضموها كلها الى لبنان فأصبحت على ما هي عليه اليوم من حدود وأقاموا منها سدا منيعا بين داخل سوريا والبحر الأبيض ثم تصلوا ما تبقى من سوريا وأقاموا في كل قسم دولة مستقرة .. أقاموا دولة حلب ودولة العلويين ودولة جبل الدروز ودولة دمشق .. وهكذا مزق الفرنسيون وحدة البلاد وفرقوا كلمة أبنائها عملاً بالمبدأ الاستعماري المعروف .. « فرق تسد »

واحس غورو بعد فترة أن سياسة التجزئة لم تبلغ غايتها فقرر انشاء اتحاد بين الدول السورية الا أن الشعب العربي في سوريا كان يطمع في قيام اتحاد عام كامل شامل . وحاول الجنرال ويغان المفوض السامي الجديد الذي خلف غورو أن يقترب من الرغبة الشعبية فالغى الاتحاد القائم وانشأ وحدة بين دولتي دمشق وحلب واتحدت الدولتان في أول كانون الثاني (يناير) ١٩٢٥ وتألفت دولة سميت الدولة السورية واحتفظت للحكومة المنتدبة بحقوقها ووجد بالدولة الجديدة مجلس تمثيلي ... وكانت السلطة العليا في هذه الدولة للمفوض السامي فهو الذي يصدق على اعتماد رئيس الدولة

المهم هو ان الفرنسيين أرادوا فرض انتدابهم على سوريا واراد السوريون ان يتحرروا من هذا النظام ونظروا اليه بكره

قبل أن يقعوا فى ربقته ، ومنذ غلبتهم القوة ، وصمموا على المقاومة واشتعلت نيران الثورة الشعبية فلجأ الفرنسيون الى أعمال العنف وبرزت المطالب القومية واضحة ظاهرة وهى الاستقلال والوحدة وصار هذان المطلبان يجريان على كل لسان ويملآن كل جنان .. فأما الاستقلال فقد تابعت البلاد السورية والشعب العربى هناك نضاله حتى أحرزه وأما الوحدة فقد تطورت تطورا محزنا لوقوف المطامع الدولية والاغراض المحلية فى سبيلها ...

لم يهدأ بال الشعب العربى فى سوريا طيلة أيام الانتداب ولم يعترف به قط وقاومه بجميع الوسائل التى كانت فى متناول يده .وبرزت المقاومة على شكلين .. مقاومة سلمية سلبية ومقاومة عنيفة قوامها حرب العصابات

وتألفت فى سوريا جمعية الكتلة الوطنية واتصلت هذه الكتلة بالشعب اتصالا مستمرا وكانت وسائلها فى مقاومة أفاعيل الانتداب تتجلى فى الاجتماعات والخطب والمنشورات السياسية واقفال المتاجر والحوانيت واضراب التلاميذ والطلاب وقيام المظاهرات السلمية وحاولت السلطات الفرنسية أن تقف فى وجه هذه الكتلة فسجنت أعضاءها واغلقت نواديها ومكاتبها ...

وظهرت فى سوريا جمعيات أخرى وطنية مثل عصبة العمل القومى وجمعية البعث العربى والحزب الاشتراكى والحزب الوطنى وكانت هذه الجمعيات ذات هدف محدد هو طرد الفرنسيين واستقلال سوريا ووحدة أراضيها وسيادة الشعب

اما الأعمال المسلحة والمقاومة الايجابية فقد قام بها أناس وهبوا أنفسهم وحياتهم لخدمة القومية العربية ومن هؤلاء الشيخ صالح العلى الذى أقلق مضاجع الفرنسيين حتى اضطروا الى ارسال ثلاث حملات كبيرة تتالف كل واحدة منها من كتيبتين من المشاة وبطارية من المدافع وسرية من الخيالة ثم الحقوا بهذه القوة كتيبتين وثمانى سرايا بين مشاة وخيالة وحدثت بينه وبينهم وقائع دامية خرج منها مرفوع الراس بعد أن بذل كل مافى وسعه لصد المستعمرين ولطردهم من أرضه العزيزة

ومن هؤلاء الزعيم الوطني ابراهيم هنانو الذي الف عصابات عربية مسلحة امتدت أعمالها من جبل الزاوية الى أقصى جبل باريشا وجبل العلا واستطاع أن يقهر الحاميات الفرنسية وأن يأسر بعضها

ومن هؤلاء قبائل الفرات التي ابت الخضوع لسلطان الفرنسيين وقامت قبيلة العقيدات تهاجم قوة الفرنسيين في دير الزور وتحاصرها ولجأ الفرنسيون الى استحضار حملة كبيرة مؤلفة من ثلاث كتائب من المشاة وثلاث سرايا من الخيالة وسرية من الرشاشات وسرية من راكبي الابل وبطاريتين من المدافع وحدثت معارك عنيفة بين القوتين وأصيب الفرنسيون بخسائر فادحة .

ومن هؤلاء قبيلة الموالي التي هددت الفرنسيين والحقت بهم الخسائر العديدة في الارواح ... ومن هؤلاء الشهيد المجاهد أدهم خنجر صاحب المغامرة الكبرى التي كانت ترمي الى اغتيال الجنرال غورو واستطاعت قوات فرنسا أن تعتقله وتقتله ... ومن هؤلاء أسرة الدنادشة وعشيرة الفضل

وفي عام ١٩٢٥ قامت الثورة السورية الكبرى التي دامت سنتين وشملت جميع أنحاء سوريا واتخذت شكل حرب عصابات وطنية قوية منظمة واضطرت فرنسا الى زيادة عدد جنودها حتى وصل الي مائة الف .. وتميزت هذه الثورة باصطباغها بصبغة وطنية استقلالية شاملة

وتاريخ الثورة تاريخ طويل مجيد حدثت فيه بطولات وكثير من ضروب البسالة بما يملأ النفس فخرا ، ووقفت فرنسا امام هذه الثورة وقفة باغية وأتت من الفظائع ما يملأ النفس أسى واحتقارا فقد ضربوا أحياء دمشق بالمدافع وأحرقوا بيوتها وقتلوا السكان الآمنين وهدموا منشآتها وأجروا الدماء أنهارا وفتحوا السجون وعطلوا الاعمال واعتقلوا الزعماء وصبت دباباتهم نيرانها في الاسواق ذات اليمين وذات اليسار مدة ثلاثة أيام .. ومع كل هذا ومع قسوته وعنفه فلم تلن قناة الامة بل اشتد ساعدها وقوى عزمها وازداد تصميمها ووقفت وقفة رجل واحد

وقلب واحد ينشد هدفا واحدا هو استقلال سوريا وسيادتها وحريتها وخاف الفرنسيون أن تشتعل نيران ثورة عارمة لا يستطيعون حيالها شيئا واذهلهم نداء سلطان الاطرش الى اهل سوريا جميعا أن يحملوا السلاح تحقيقا لامانى البلاد المقدسة وتأييدا لسيادة الشعب وحرية الامة ... ولهذا رات فرنسا أن من الخير لها كل الخير ان تتقارب مع الثوار وان تتفاهم معهم فاستدعت الجنرال سراى وعدته مسئولا عن الحوادث التى اجتاحت سوريا وعينت مكانه المسيو هنرى دوجوفنل وكان عضوا بمجلس الشيوخ الفرنسى وكان احد ممثلى فرنسا لدى عصبة الامم ... وبدأ المفوض السامى الجديد يتصل بالزعماء ويتفاوض معهم واستمر الاتصال والمفاوضة فترة طويلة اكتنفها الود تارة واكفهر الجو خلالها مرات والشعب العربى فى سوريا عند موقفه لا يتزحزح ولا يلين

وفى خلال هذه الفترة تكونت جمعية تأسيسية نجح فيها الوطنيون نجاحا كبيرا وسيطروا على الجمعية واقلق ذلك الفرنسيين قلقا شديدا ... وانتخب هاشم الأتاسى رئيسا للجمعية واختارت الجمعية لجنة لوضع مشروع دستور وضعت مواده التى أغضبت فرنسا فطلب المفوض السامى حذف بعض هذه المواد ورفض المجلس فأمر المفوض السامى بتأجيل انعقاده وتعطيل أعماله

وفى أوائل اذار (مارس) ١٩٣٠ عقد الوطنيون مؤتمرا فى احدى ضواحى دمشق وقرروا ايجاد حل للخروج من الصمت الطويل الذى لازمه المفوض السامى وحدث اتصال بينهم وبينه انتهى بأن أصدر المفوض دستور ١٩٣٠ وسماه القانون الأساسى للدول المشمولة بالانتداب الفرنسى

وظلت فرنسا تغير من المفوضين الساميين ، وكان كل منهم يحاول جاهدا أن يكبح جماح الوطنيين وان يعرقل حركتهم وجهادهم وان يكثر من المصاعب والمشاكل أمامهم لعلهم يفقدون الأمل فى المستقبل والثقة فى أنفسهم فيقعدون عن مطالبهم ويتقاعسون ، واخيرا رضخ الفرنسيون لارادة الشعب العربى فى

سوريا ووقعت بين البلدين معاهدة ١٩٣٦ التى نصت على انهاء الانتداب وقيام علاقة جديدة بين فرنسا وسوريا على أساس من الحرية التامة والسيادة والاستقلال وتقبل الشعب العربى فى سوريا ، هذه المعاهدة رغم ما فيها من شوائب ونقص قبولا حسنا وقامت فى سوريا جمهورية انتخب هاشم الأتاسى رئيسا لها .

وبدأ الشعب فى سوريا ينظر فى أمر نفسه ويعد الخطط لمستقبله حين فوجىء بمشكلة لواء الاسكندروية .. اللواء السليب الذى أبت فرنسا الاأن تقتطعه من الوطن الأم وتدفع به فى أحضان تركيا لتضمه الى أملاكها ولتطلق عليه اسم اقيم هاتاى

وفى خلال الحرب العالمية الثانية احتلت قوات الفرنسيين الاحرار سوريا وشاركتهم فى ذلك القوات البريطانية وفى ٢٥ آذار (مارس) ١٩٤٣ أعلن الجنرال كاترو عودة الحياة الدستورية الى البلاد وجرت انتخابات جديدة ونظر الشعب العربى فى سوريا الى المستقبل واقبل على الانتخابات واختار نوابه ليكونوا أمناء على القيام بمهمة انشاء أوضاع الدولة وحرمة القانون ورقابر النظام وكرامة الانسان ... وتم الانتخاب واجتمع المجلس النيابى وتألفت وزارة وراء أخرى حتى كانت سنة ١٩٤٦ حين اعلن الفرنسيون أنهم قرروا الجلاء عن سوريا جلاء تاما ناجزا ... وأقرت سوريا يوم ١٧ نيسان (ابريل) عيدا قوميا يحق فيه لكل سورى يؤمن بالقومية العربية وبكفاح الشعب العبى فى سوريا أن يكون فخورا بالثمرة الحلوة العظيمة التى عمل الشعب من أجلها . كافح فى سبيل تحقيقها فقد اصبحت سوريا بعد نضال عنيف خاض غماره شعب أعزل دولة جديدة فى المنطقة مستقلة حره سيدة نفسها تؤمن ايمانا راسخا وقويا بالقومية العربية وبسيادة الشعب سيادة كاملة غير منقوصة .

وفى ختام حديثنا عن النضال الشعبى فى سوريا ضد الانتداب الفرنسى يجب علينا ان نبرز ثلاثة أمور هامة ...

الأمر الأول ... تكمن وراءه حقيقة واضحة لا سبيل الى انكارها وهى أن الدوافع الوطنية للثورات السورية ولانتفاضات الشعب العربى فى سوريا كانت كامنة فى حقيقة الشعور العربى فى سوريا ... فقد كان الشعب غاضبا لوضع فرنسا غير المشروع هناك وكان هذا هو الدافع الاول للانتفاضات الشعبية المتعددة ولقد وضع الشعب أمام ناظريه الصورة الكريهة للاحتلال الفرنسي وصمم على أن يزيل هذه الصورة من حياته لأنه احس أن وجودها اهدار لكرامته وضياع لحقوقه فى الحياة الحرة الكريمة واتلاف للوضع الدستورى الذى يجب أن يسود البلاد وخرق للمواثيق والمعاهدات التى كانت تنص على حق كل شعب فى تقرير مصيره ومعارضة صريحة سافرة لمبدأ القومية العربية الذى آمن به الشعب العربى فى سوريا والذى رأى فيه صورة للمستقبل العظيم الباسم الذى ينتظره العرب جميعا وعاما خفاقا يجتمع تحته الركب العربى المتحر الصاعد

الأمر الثانى ... هو أن فرنسا عندما احتلت بقواتها سوريا ودخلت دمشق واخرجت فيصلا وضعت خطة استعمارية قبيحة لاحتلال سورياواضعافها لقد لجات اول مالجأت الى سياسة التقسيم ثم خطت خطوة أخرى أشد خطورة على الوضع الطبيعى لسوريا فاقتطعت أجزاء من أرضها وضمتها الى جبل لبنان وكونت دولة لبنان ثم خطت خطوة ثالثة أشد من الخطوتين السابقتين هولا اذ اقتطعت لواء الاسكندرونة وضمته الى تركيا وهذا الاقتطاع من أرض سوريا والضم الى أملاك تركيا لم يأت عفوا وانما جاء نتيجة تدبير محكم وسياسة مرسومة وخطة موضوعة واتفاق سابق بين الاطراف الاستعمارية

الأمر الثالث ... امر لا يقل عن الامرين الاول والثانى فى اهميته بل فى خطورته ونعنى به موقف مصر من شقيقتها سوريا اى موقف الشعب العربى فى مصر من الشعب العربى فى سوريا فلقد فتحت مصر أبوابها لابناء سوريا الذين اضطروا للخروج من بلادهم ووجد هؤلاء فى مصر الرعاية والعطف والتأييد والمعاونة ولا عجب فى ذلك فالمصرى والسورى اخان عربيان تجمعهما قومية عربية يتآخيان فى ظلها ويتحابان تحت رايتها

ويتقاسمان معا حلو الحياة ومرها جهادها وكفاحها ... وفى مصر تكون حزب الاتحاد السورى فكان قاعدة للحركة القومية الكبرى واستطاع الحزب من مقره فى القاهرة أن يحمل صوت سوريا فى عصبة الامم منذ أول اجتماع عقدته احتجاجا على الدول الاستعمارية التى انكرت الوعود والعهود التى أعطيت للشعوب وعاملتها كغنيمة حرب وتقاسمتها بينها وجزأتها أجزاء متعددة فجعلت الحكومات متباينة والوحدة الوطنية ممزقة وامانى الشعب بعيدة التحقيق

ولقد عقد هذا الحزب مؤتمرا هاما فى أواخر شهر اب (اغسطس) ١٩٢١ حضره مندوبون عن المؤتمر الفلسطينى ومجلس الادارة اللبنانى والاستقلال العربى واللجنة الفلسطينية بمصر وجمعيات أخرى عديدة فى أمريكا والارجنتين وتشيلى وبعث المؤتمر بنداء مفصل الى جمعية الامم طلب فيه بالاعتراف باستقلال سوريا ولبنان وفلسطين وبالسلطان القومى لها وبالاعتراف بحق هذه البلاد فى الاتحاد معا تحت سلطة حكومة مدنية مسئولة أمام مجلس نيابى ينتخبه الشعب وبالغاء الانتداب وبجلاء القوات الأجنبية عن البلاد وبالغاء تصريح بلفور ... واستمرت اللجنة التنفيذية للحزب تعمل فى القاهره وبعثت بوفد لها يعمل فى أوروبا

وواضح اذن أن مصر وقفت بجانب سوريا وقدمت لها كل ما فى استطاعتها من معاونة فعالة ومساعدة ايجابية ولم يكن القصد من موقف مصر سوى المشاركة فى ازالة العقبات وتمهيد الطريق أمام الشعب العربى فى سوريا لينال حقه فى الحياة الحرة الكريمة وليصل الى أمانيه فى الحرية والسيادة والاستقلال التام ...

لقد كان العربى فى مصر عونا صادقا لاخيه العربى فى سوريا .. هكذا كان فى التاريخ القديم وهكذا صار فى التاريخ الحديث وهكذا سيكون بعون الله وبمشيئته فى المستقبل العربى القريب والبعيد

- ٣ -

النضال الشعبي فى فترة الحكم الوطنى

الشعب العربى فى سـوريا يؤمن بالقومية العربية لا كفلسفة قومية ضيقة ولا كمنهب اجتماعى محدود وانما كفلسفة اجتماعية مثالية بناءة تقـدمية ...

- ١ -

فى ١٦ شباط (فبراير) ١٩٤٥ أصدر مجلس الامن قرارا هاما يتصل اتصالا وثيقا بحياة الشعب العربى فى سوريا فقد قضى المجلس بضرورة جلاء القوات البريطانية والفرنسية عن سوريا ولبنان واوصى باجراء مفاوضات عاجلة تحدد خطة الجلاء وجاء هذا القرار عقب جلسات متعددة للمجلس عرضت فيها قضية الجلاء وتولى فارس الخورى وكان رئيس وفد سوريا شرح وجهة النظر السورية فى القضية واستطاع بلباقة أن يقنع المجلس بأن وجود هذه القوات لا يتفق مع استقلال سوريا فان مظاهر الاستقلال والحكم الدستورى يمكن أن تختفى فجأة بين لحظة وأخرى اذا ما تعكر جو العلاقات بين سوريا وفرنسا .. هذا فوق ان وجود القوات فى الأراضى السورية واللبنانية اصبح دون مبرر وقد انتهت الحرب وهو يعتبر مساسا خطيرا بسيادة دولة هى عضو فى الهيئة الدولية وأبدى فارس الخورى وجهة نظر معقولة فى القضية اذ اوضح أن وجود هذه القوات وبقاءها يعارض رغبة الشعب العربى فى سوريا .

ولم تجد فرنسا وانجلترا بدا من الخضوع لقرار مجلس الامن وتم الجلاء عن سوريا فى ٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٦ كما أوضحنا من قبل

وعندما بدأ شهر نيسان « ابريل » بدأت معه مرحلة جديدة فى حياة الشعب السورى فقد كان يأمل أن تستقر الأوضاع بعد فترة الجهاد الطويلة وأن يقوم فى البلاد نظام جمهورى نيابى وأن يسود الحكم الديموقراطى

وسارت الحياة السياسية فى سوريا فى الطريق الذى اراده الشعب وقامت الاحزاب السياسية وأعلن كل حزب عن مبادئه وأهدافه وأسسه وانضمت جموع الشعب الى هذه الاحزاب ... الا أن الفترة التى عاشتها سوريا منذ نالت استقلالها فى عام ١٩٤٥ الى عام ١٩٤٩ أى العام الذى بدات فيه

فترة الانقلابات العسكرية كانت فترة نزاع ، ففى السنوات الاربع التى تلت الاستقلال كانت هناك مشاكل كثيرة واجهت المسئولين واختلفت الآراء بالنسبة لهذه المشاكل وادى وجود هذه المشاكل الى عدم الاستقرار الداخلى

ولنبدأ بالحديث عن الاوضاع التى سادت سوريا بعد الاستقلال

- ٢ -

قلنا ان الشعب العربى فى سوريا اختار النظام الجمهورى النيابى لتقوم عليه الحياة السياسية فى البلاد .. ولعل اختيار هذا النوع من الحكم يرجع الى دستور « ٣٠ » اذ نصت المادة الثالثة منه على أن سوريا جمهورية نيابية .. وكان هذا الاختيار وفقا لمشيئة الشعب ولم تكن هناك ارادة اخرى وراء هذا الاختيار فعندما اجتمع ممثلو الشعب فى الجمعية التاسيسية سنة ١٩٢٨ لوضع دستور للبلاد اقروا النظام الجمهورى النيابى بعد دراسة لاوضاع الحكم فى البلاد المختلفة وبعد أن وجدوا انه خير نظام يطبق عندهم ولقد جاء على لسان مقرر مشروع الدستور « اننا قد فضلنا النظام الجمهورى لانه يشبع اقصى رغباتنا ويتجاوب وعقليتنا ويتفق ووضعنا السياسى ... »

وفى عام ١٩٤٤ ايد البرلمان السورى وجهة النظر هذه حين عدل الدستور وأيدت الأحزاب السياسية كلها هذا الاتجاه فى اختيار نظام الحكم وكانت الاحزاب ترى فى هذا النظام انه يتفق مع أهداف القومية العربية وانه يجعل من سوريا نقطة ارتكاز للحركات الشعبية فى الاقطار العربية والاسلامية .

وعندما عقد أول برلمان بعد جلاء الفرنسيين فى عام ١٩٤٧ أقر البرلمان بالاجماع قيام النظام الجمهورى ووقف شكرى القوتلى يؤيد هذا النظام ويقول « لقد ارتضت الأمة الواعية نظاما جمهوريا ديمقراطيا أجمعت عليه واعتنقته عن بصيرة وفى يقين فالجمهورية فى سوريا هى خير ما يلائم طبيعتها الديمقراطية وهى خير مايضمن لسوريا المستقلة اداء رسالتها العربية وهى التى تجعل هذا الشعب وحده مصدر السلطات وهى التى تجعل سوريا الحرة مصدر سلام وداعية وئام وعامل اصلاح بين الدول العربية وشعوبها . »

قلنا ان الاحزاب قامت فى سوريا .. وكانت الاحزاب كثيرة العدد وانقسم الشعب بين هذه الاحزاب كل انتمى الى الحزب الذى رأى فى أهدافه ومبادئه آماله وميوله وأفكاره ...

وكان من الثابت أن الاحزاب فى فترة الانتداب كانت تسعى سعيا حثيثا الى انهاء الانتداب وكانت فكرة انهائه هى الهدف الاول للاحزاب ولم يكن للاحزاب وقتها بعد هذا الهدف أهدافا أخرى ... فلما نجحت فى مسعاها وتم الجلاء وانتهى الانتداب واستقلت البلاد والقيت مقاليد أمورها الى أبنائها بدأت الاحزاب فى تنظيم برامجها واعدادها لتساير الوضع الجديد الذى أصبحت فيه البلاد ولتتفق مع الحياة الجديدة التى بدأها الشعب السورى ولتوافق وتنسجم مع التطور المنتظر فى أحوال البلاد المختلفة

وبدراستنا للاحزاب المختلفة التى قامت فى سوريا يمكن أن نقسمها الى ثلاثة أقسام ...

١ ـ أحزاب قومية تؤمن بالقومية العربية وتسعى ضمن أهدافها الى تطوير المجتمع السورى والنهوض بمرافقه وكانت تضع نصب أعينها أن سوريا جزء من الوطن العربى الكبير وأن السياسة السورية يجب أن تسير فى اتجاه القومية العربية وأن تتضامن مع أهداف جامعة الدول العربية وأن تسعى قدر استطاعتها الى تحقيق الوحدة العربية الشاملة ... وكانت هذه الاحزاب القومية هى الحزب الوطنى وحزب الشعب وحزب البعث والحزب العربى الاشتراكى وحدث أن اندمج الحزبان الاخيران وكونا حزبا واحدا هو حزب البعث العربى الاشتراكى وكان الاتجاه العربى هو الاتجاه المسيطر على سياسة وأهداف هذه الاحزاب التى وضعت نصب أعينها فكرة الوحدة العربية ورسمت لنفسها وسيلة العمل وجعلها حقيقة واقعة

٢ ـ الحزب القومى السورى .. ألف هذا الحزب انطون سعادة وكان يختلف فى اتجاهاته وأهدافه عن الاحزاب الاخرى فقد كان مؤسسه صاحب نظرية خاصة تدعو الى جعل سوريا بحدودها الطبيعية بلدا مستقلا له كيانه الخاص وقومبته الخاصة

أى أن مبدأه كان اقليميا انفصاليا لا يتفق مع الشعور العربى فى جمع العرب جميعا فى وحدة واحدة وكان يرى انه يجب أن تنفصل القومية السورية عن القومية العربية وأن يكون مبدأ السوريين هو سوريا للسوريين . والسوريون أمة تامة .. وكان أنطون سعادة فى مناداته بالقومية السورية ينظر الى سوريا على أساس أنها أكثر البلاد العربية تمدنا وحضارة وتقدما وينظر الى العرب على أنهم بدو .. وكان يرى أن العرب كغيرهم من الامم التى مرت بسوريا فاتحين غزاة .

٣ ـ الحزب الشيوعى .. وكان هذا الحزب يستمد مبادءه وأهدافه من خارج حدود سوريا فهو حزب ماركسى طبقى يسعى الى اقامة مجتمع شيوعى ..

والى جانب هذه الاحزاب وجدت جماعة الاخوان المسلمين .

ونحن بدراستنا لاحوال الاحزاب فى سوريا نلحظ شيئا هاما ... فهذه الاحزاب على كثرتها كانت تتفق الى حد كبير فى أهدافها وسياستها ومبادئها ومع هذا فقد ظلت على كثرتها دون محاولة لادماج بعضها مع البعض الآخر ولعل عدم وجود مثل هذه المحاولة كان من شأنه أن ظهرت نتائج خطيرة هى ...

١ ـ ضعف الاحزاب نتيجة لتشتت الجهود الحزبية اذ أن تعدد الاحزاب يؤدى دائما الى عرقلة السير فى الطريق الديمقراطى السليم وخاصة اذا وضعنا فى الاعتبار أن عدد سكان سوريا قليل لا يتعدى أربعة مليون وكثرة الاحزاب فيها يؤدى الى انقسام الشعب بين هذه الاحزاب وفى هذا ضياع للجهد وللعمل الصالح

٢ ـ أدى كثرة الاحزاب الى عدم وجود حزب واحد كبير يتمتع بأغلبية معقولة فى البرلمان وهذا يؤدى الى عرقلة أعمال الدولة وخاصة أن سوريا كانت فى بداية عهد جديد وكانت فى حاجة الى من يشق لها طريق الاصلاح والانشاء والبناء وعدم وجود حزب كبير له أغلبية فى البرلمان يؤدى الى تغيير الوزارات وتبدلها بين لحظة وأخرى مما يؤدى دون شك الى عرقلة سير العمل فى الطريق المأمول .

٣ ـ أدى كثرة الاحزاب فى سوريا الى أن الاحزاب كانت فى تشكيلها تفتقد الى الشخصيات الكبيرة الصالحة لتولى مهام الحكم مما كان له أثره فى تعذر قيام حزب واحد بأعباء الحكومة ماعدا حزب الشعب فقد كان أكثر الاحزاب عددا من الشخصيات التى يطمأن الى اسناد الوزارة اليها لخبرتها وثقافتها وقدراتها وامكانياتها ورغم هذا أيضا فان حزب الشعب لم يكن يستطيع أن يقوم وحده بأعباء الوزارة .

– ٤ –

نعود بعد ذلك للحديث عن الحالة السياسية فى سوريا فى العهد الذى أطلق عليه اسم فترة الحكم الوطنى أى فى المدة مابين عامى ١٩٤٥ و ١٩٤٩ ...

الثابت أن هذه الفترة التى امتدت اربع سنوات كانت فترة غير مستقرة مليئة بالحوادث ... وكانت هناك عوامل لعدم الاستقرار نلخصها فى الآتى ...

أولا ... ان سوريا منذ انفصلت عن الدولة العثمانية كانت تحت الانتداب الفرنسى فلما حصلت على استقلالها وأصبح أمرها بأيدى رجالها ظهرت على مسرح حياتها مشكلات كثيرة نتيجة لانتهاء عهد الانتداب .. فقد كانت كأى بلد محتل تسعى خلال احتلالها الى التخلص من الاحتلال دون أن توضع ترتيبات أو سياسة خاصة لفترة مابعد الانتداب فلماذهب الاستعمار وحصلت البلاد على استقلالها بزغت مشكلات اجتماعية كثيرة لم تكن هناك حلول موضوعة لها وأصبح رجال الحكم فى فترة مابعد الانتداب يواجهون المشكلات التى تجسمت أمام الرأى العام بصورة مخيفة دعت الى أن يتطلع السوريون الى رجال الحكم بأمل حل هذه المشكلات التى تتعلق بحياتهم العامة من التعليم والصحة والاقتصاد والمعيشة والسياسة الداخلية من جهة الامن والسياسة الخارجية من جهة الدائرة العربية والدائرة الاقليمية والدائرة العالمية .

ومن الطبيعى أن هذه المشكلات تظهر وتبرز وتتجسم فى كل دولة ناشئة ولكن الشعب العربى فى سوريا صدم بهذه المشكلات التى لم تعمل لها الحكومات حسابا .. ولاشك فى أن قوى

الرجعية بمساندة الاستعمار عاونت فى تجسيم هذه المشكلات طمعا فى عودة الاستعمار من جديد .

ثانيا ... كان كثير من رجال الحكومات المتعاقبة بعد الاستقلال غير مدركين لهذه المشكلات الناجمة عن انهاء الاحتلال وخروج المستعمر وغير مدركين للحلول التى يمكن بها مواجهة هذه المشكلات .. هذا فضلا عن أن رجال الحكم كانوا يتوقون الى البقاء فى الحكم أطول مدة ممكنة فهم يسعون الى استقرارهم فى الحكم دون الاهتمام بمصالح الدولة .

ثالثا ... كانت القوى الاستعمارية ناقمة على خروجها وكانت تود لو عادت من جديد ولهذا اخذت تشجع فئة ضد فئة وتعاون البعض ضد البعض الآخر وتثير الاحزاب مما اضر بمصالح الوطن والمواطنين وشجع على قيام القوات المسلحة بانقلابات متتالية متعاقبة سنتناولها بالحديث فى القسم الثانى من هذا الكتاب .

رابعا ... ظهرت فى السنوات الأولى لعهد الاستقلال رغبتان تطالبان بتعديل الدستور ..

كانت الرغبة الأولى خاصة بتعديل المادة ١١٦ من الدستور وكانت هذه المادة تنص على أنه من حق المفوض السلمى الفرنسى تنفيذ مايراه دون الرجوع الى البرلمان للحصول على موافقته .. ووافق النواب على الغاء هذه المادة من الدستور ...

وكانت الرغبة الاخرى خاصة بتعديل المادة ٦٨ من الدستور فان رجال الحزب الوطنى وهم مؤيدو شكرى القوتلى طالبوا بتعديل البنود الخاصة باختيار رئيس الجمهورية ليمكن اعادة انتخاب شكرى القوتلى مرة أخرى لرئاسة الجمهورية وكان الدستور ينص على عدم اعادة انتخاب رئيس الجمهورية مرتين متتاليتين فالمادة ٦٨ تنص على أنه « لايجوز اعادة انتخاب رئيس الجمهورية مرة ثانية الا بعد مرور خمس سنوات من انقضاء رئاسته . » وبذلت محاولات كثيرة لاقرار هذا التعديل ونجح الداعون اليه فى استمالة عدد من أعضاء المجلس وعدلت المادة وأصبحت تنص على أنه « لايجوز اعادة انتخاب رئيس الجمهورية

للمرة الثالثة الا بعد مرور خمس سنوات لانقضاء مدة رئاسته الثانية » وكانت رئاسة شكرى القوتلى تنتهى فى عام ١٩٤٨ فأعيد

انتخابه رئيسا للجمهورية للمرة الثانية ...

وتقدم بعض النواب بطلب تعديل المادتين ٨٥و٨٩ الخاصتين بزيادة عدد الوزراء فى الوزارة فيكون عددهم اثنى عشر وزيرا بدلا من خمسة وزراء ووافق النواب على هذه الزيادة بما يسمح اضطلاع الوزراء بأعمالهم دون ارهاق بتولى وزير واحد أكثر من وزارة .

- ٥ -

وبدا الناس بعد ذلك يتطلعون الى عهد جديد من الاستقرار بعد ان استتب الامر وأصبح الدستور قائما والحياة النيابية قائمة ممثلة فى رئيس الجمهورية والمجلس النيابى والوزارة

ولكن ظهرت مشكلة جديدة كان بطلها الملك عبد الله ملك الاردن فقد أعد مشروع سوريا الكبرى ودعا اليه فى صراحة فى ٤ آب (اغسطس) ١٩٤٧ ونادى بضرورة قيام دولة تجمع بين سوريا والاردن وفلسطين ولبنان تكون دولة ملكية دستورية يتولى هو فيها منصب الملك وتسمى بالدولة السورية وتكون عاصمتها دمشق

وطالب بأن يقام اتحاد عربى بين الدولة الجديدة وبين العراق وأعلن انه لا يمانع فى أن تنضم الى هذا الاتحاد الدول العربية الاخرى .. وجاء فى بيان الملك عبد الله « لقد وجب علينا ان نواصل جهادنا المشترك لدعم ما أولينا به بتحقيق وحدة بلادنا وبالتمكين للقدرة القومية فى الديار الشامية والهلال والخصيب تمكينا مؤيدا ليس بالأقوال وحسب بل بالافعال أيضا . »

واحتاط الملك عبد الله للامر فأعلن أنه اذا لم يكن من المستطاع قيام هذه الدولة فلتقم دولة سورية اتحادية بدلا من الدولة السورية الموحدة على أساس أن تقوم فى الاراضى السورية دولة سورية اتحادية مركزية تضم شرق الاردن وسوريا ولبنان وفلسطين وتكون دمشق عاصمتها ويبقى لكل من الحكومات

الاقليمية استقلالا ذاتيا ويكون هو الرئيس لهذه الدولة الاتحادية ثم يقوم بعد ذلك اتحاد عربى بين الدولة الاتحادية والعراق .

وكان مشروع عبد الله هذا ذات اثر كبير فى نفسية الشعب العربى فى سوريا ... وهب الشعب ليثور فى وجه عبد الله وضد مشروعه وليعلن معارضته له ومقاومته اياه فلم يكن من المعقول أو المستساغ أن يقبل الشعب العربى فى سوريا مشروعا كهذا لعدة أسباب ...

١ ـ الشعب العربى فى سوريا اختار لنفسه نظاما للحكم هو النظام الجمهورى .. اختاره بعد أن وجد فيه النظام الوحيد الذى يصلح للبلاد .

٢ ـ الشعب العربى فى سوريا رأى أن قبوله هذا المشروع فيه اضرار بمصالحه لأن الاردن دولة مرتبطة ببريطانيا بمعاهدة تحد من استقلاله

٣ ـ الشعب العربى فى سوريا ادرك ان الملك فى الأردن يتمتع بموجب الدستور بسلطات كبيرة مما يتنافى مع المبادىء الديمقراطية والنظام الجمهورى .

٤ ـ الشعب العربى فى سوريا أدرك أنه بارتباطه بالأردن سيقع تحت النفوذ البريطانى .. هذا فوق أن النظام الملكى يحد من الحريات العامة التى منحها الدستور للشعب .

٥ ـ الشعب العربى فى سوريا لم ينس أن انجلترا التى وقفت وراء هذا المشروع كانت ذات موقف معاد للمصالح العربية فى المنطقة العربية وخاصة حين أصدرت وعد بلفور الذى يؤكد عزمها على قيام دولة يهودية فى فلسطين .. وكان هذا العامل ذا أثر كبير فى نفسية الشعب العربى فى سوريا فجعله ينظر الى المشروع فى كره ويرى فيه اضرارا بمصالحه وبمصالح العرب جميعا .

٦ ـ الشعب العربى فى سوريا الذى يؤمن ايمانا راسخا بالقومية العربية ويرى فيها أمله وحياته ومستقبله آمن بأن هذا

يتعارض مع مبــادىء ميثــاق الجامعة العربية التى تنص صراحة على أن يبقى الوضع الحالى فى البلاد العربية كما هو دون تغير أو تبدل .

٧ ـ الشعب العربى فى سوريا أحس أن هذا المشروع سـيفقده اســتقلاله وحريته ويقطع عليه الطريق فلا يستطيع أن يحقق هدفه الكبير فى الوحدة العربية الشاملة .

٨ ـ الشعب العربى فى سوريا شم رائحة الجهود الأجنبية التى تبذل من أجل تحقيق المشروع واخراجه الى حيز التنفيذ فأحس بخطورته فأعلن رفضـه ومعارضته وشن عليه حربا شعواء قضت على كل أمل فى تحقيقه أو تنفيذه .

وانتصر الشعب العربى فى سوريا فى معركة سوريا الكبرى وباء مشروعها بالفشــــل وضاعت آمال الملك عبد الله وأحست انجلترا أنها قد خسرت المعركة .

ـ ٦ ـ

وبرزت أمام الشعب العربى فى سوريا مشكلة أخرى ... مشكلة خطيرة .. مشكلة فلسطين .. فقد كان الشعب العربى فى سوريا ينظر الى فلسطين على أنها قطعة من أرضه تمثل الجزء الجنوبى منها .. هى اذن جزء من سوريا الطبيعيــة وركن من أركانها الهامة .. واعتبر الشعب فى سوريا قضية فلسـطين قضيته وتجاوب مع أحداثها فى مختلف الاطوار التى مرت بها ...

ولقد أوضحنا فى الجزء المتقدم من الكتاب أن السوريين حين طالبوا باستقلال بلادهم طالبوا أيضا باستقلال فلسطين وبايقــاف الهجرة التى تمثل خطرا صهيونيا على فلسطين وعلى كيان سوريا وعلى الكيان العربى كله وأخذ السوريون يمـدون يد العـــون والمساعدة للثوار الفلسطينيين .

وعنــدما قررت البــلاد العربية فى ١٥ آيار (مايو) ١٩٤٨ الدخول فى حرب ضد عصابات اليهود فى فلسطين لطـردهم منها

وتخليص فلسطين من قبضتهم كانت الحكومة السورية من أسبق الدول الى اعلان الحرب وخوض غمارها دفاعا عن هذه القطعة الغالية من الوطن العربى رغم أنها كانت حديثة عهد بالاستقلال ولم تكن على مستوى من القوة العسكرية او التدريب يؤهلها لخوض غمار حرب ولكنها — رغم أنها غير مؤهلة لهذا الدور — رأت أن تدخل الحرب وأن تشارك فى صد الخطر الصهيونى وأن تساهم قدر استطاعتها فى انقاذ هذه البقعة العربية الغالية

وبانتهاء الحرب وقيام الهدنة بين الدول العربية واسرائيل تأثرت نفسية الشعب العربى فى سوريا بظروف الحرب فقد أحس بأنه أصبح مهددا فى حياته وأرضه وماله وقوته .

وأدرك الشعب أن من أسباب الهزيمة وضياع فلسطين التفكك فى القيادات والاختلاف فى الاهداف وظهور المصالح الشخصية وتغلبها على مصلحة العرب .. ولهذا ثار الشعب العربى فى سوريا لا على حكومته وحدها بل على الحكومات العربية كلها وبدأ الشعب يتطلع الى تعديل فى الحكم القائم فى البلاد

— ٧ —

وعندما اعترفت الامم المتحدة بسوريا كدولة مستقلة ذات سيادة برزت مع هذا الاعتراف وجهة نظر تتعلق بجيش البلاد فقد كانت سوريا فى بداية عهدها تحاول أن تستغل ميزانيتها فى النهوض بالاعباء الجسيمة التى تعرضت لها فى بداية عهد الاستقلال وفى معالجة الشئون الشعبية التى كانت فى حاجة الى علاج سريع ولهذا وجدت لدى المسئولين فكرة ترمى الى تقليل عدد افراد الجيش والاحتفاظ بعدد رمزى وعدم ابقاء قوات عسكرية كبيرة داخل دولة جديدة ناشئة محدودة الميزانية ذات اقتصاد محدد ... وفكرت الحكومة فى تسريح عدد من الضباط والجنود وكان من الطبيعى وقد عرف العسكريون بهذا الاتجاه أن تغضب القوى المسلحة وأن تفكر فى صيانة نفسها ومستقبل رجالها ولهذا اتخذت القوات المسلحة موقف المعارضة للحكم القائم .. وكان هذا الموقف من جانب القوى المسلحة مشكلة

خطيرة برزت امام المسئولين وتجسمت بصورة تدعو الى القلق ...

- ٨ -

وأخيرا ...

نخرج من هذه الدراسة للاوضاع المختلفة التى واجهت سوريا خلال فترة الحكم الوطنى الى أن سوريا تعرضت لمشكلات كثيرة وواجهت هذه المشكلات فى وقت كانت هى فى مسيس الحاجة الى بعض الهدوء لتنظم أمورها ولترسم سياستها ولتحدد خطتها ولتوجه عناصر العمل فيها لتحقيق آمالها وتثبيت أقدامها .

وكان من الواضح أن الشعب العربى فى سوريا كان يقظا بصفة دائمة ، لم تمر عليه مشكلة دون أن يكون له رأى فيها وأن يكون عنده علاج لها ... والملاحظ أن رأيه كان دائما هو الرأى السائد ...

اذن فالسيادة فى هذه الفترة من حياة سوريا كانت فى يد الشعب .

ولقد حرص الشعب على هذه السيادة ليصون بلده وليدفع عنها التيارات المختلفة التى كانت تهب عليها بين وقت وآخر ولبواجه المشكلات بقوة وصلابة وايمان ...

القسم الثانى

الانقلابات العسكرية فى سوريا

١ ـ انقلاب حسنى الزعيم
٢ ـ انقلاب سامى الحناوى
٣ ـ انقلاب أديب الشيشكلى
٤ ـ انقلاب سبتمبر ١٩٦١

- ١ -

انقلاب حسنى الزعيم

٣٠ آزار ١٩٤٩
١٤ آب ١٩٤٩

ان سوريا فى عهد حسنى الزعيم كانت بلدا يعيش بغير هـــدف ودون غاية ...

بعد انتهاء الانتداب الفرنسي على سوريا استلم الحكم رجال من السياسيين القدماء الذين نشأوا ودرجوا فى المدرسة القديمة وحملوا لواء المقاومات التحررية خلال فترة الانتداب .. وهؤلاء رأوا أن من حقهم وقد استقلت البلاد نتيجة لقيادتهم للحركات التحررية أن يتولوا هم الحكم ومع هذا فعندما أسند اليهم الشعب العربى فى سوريا مقاليد الحكم لم يستطيعوا أن يتطوروا فكريا وأن يسايروا الفكر العالمى بعد الحرب العالمية الثانية وكانت أسمى أمنياتهم أن يظلوا فى الحكم أطول فترة ممكنة ولهذا كانوا يسعون الى البقاء فى الحكم بطرق غير مشروعة مما أدى الى تغلب المصلحة الخاصة على المصلحة العامة

وبدأ الشعب العربى فى سوريا يحس أن آماله ومصالحه تضيع وسط المصالح الخاصة والاغراض ولهذا بدأ يتطلع الى عهد جديد تتحقق له فيه مصالحه وآماله وأهدافه .

وفى صباح يوم ٣٠ آزار (مارس) ١٩٤٩ استيقظ الشعب العربى فى سوريا فاذا به يجد انقلابا عسكريا قد تم خلال الليل واستمع الشعب الى البيان رقم ١ لرئيس الانقلاب وزعيمه الزعيم حسنى الزعيم وكان البيان يحوى هدفا ساميا نبيلا طالما تطلع اليه الشعب العربى فى سوريا وهو تهيئة حكم ديمقراطى صحيح يحل محل الحكم الحالى المزيف فقد جاء فى البيان بالنص « اننا مدفوعون بغيرتنا الوطنية ومتألمون مما آل اليه وضع البلاد من جراء افتراءات وتعسف من يدعون أنهم حكامنا المخلصون ، لجانا مضطرين الى تسلم زمام الحكم مؤقتا فى البلاد التى نحرص على المحافظة على استقلالها كل الحرص، وستقوم بكل مايترتب علينا نحو وطننا العزيز غير طامحين الى استلام الحكم بل القصد من عملنا هو تهيئة حكم ديمقراطى صحيح يحل محل الحكم الحالى المزيف » .

وأعلن البيان النقاط التالية ...

١ ــ البدء فى وضع قانون جديد للانتخاب على أن يقلل عدد النواب

٢ ــ اعطاء المرأة السورية حق الانتخاب .

٣ ــ تطهير الجهاز الحكومى واسناد الاعمال الى المخلصين

٤ ـ ازالة البطالة وتوفير الغذاء والكساء والدواء .
٥ ـ تحديد الملكية وتوزيع الاراضى الحكومية على المعدمين
٦ ـ رفع مستوى الحياة لطبقاء الكادحة .
٧ ـ احياء الوعى القومى .

وقبل أن نخوض فى الحديث عن عهد الانقلاب الاول يهمنا أن نكشف الستار عن الاسباب الحقيقية لهذا الانقلاب وتتخلص هذه الاسباب فى ..

أولا ... النزاع الداخلى بين السياسيين القدماء والسياسيين الجدد على أساس أن الأوائل استأثروا بالحكم والآخرين كانوا يريدون تطوير أساليب الحكم

ثانيا ... لم يوفق الحكم الدستورى الذى تولى الأمر فى البلاد فى حل المشكلات الموجودة التى كان الشعب يتطلع الى حلها بما يتفق مع مصالحه الخاصة

ثالثا ... كانت الحكومات تعمل على أن تبقى طوالا فى الحكم وكانت تلجأ الى طرق غير مشروعة فتقوم بتزوير الانتخابات لتضمن لنفسها اغلبية فى المجلس النيابى تدفع بها الى الحكم وتضمن لها استقرارا فوق الكراسى مدة طويلة

رابعا ... لمس الشعب خلال حرب فلسطين مدى تأخره عسكريا ومعنويا

خامسا ... لمس الشعب مدى استهتار الحكام بمطالبه وقضاياه العامة وكما قلنا سابقا تطلع الشعب السورى الى وجوه جديدة والى تعديل فى الحكم القائم فى البلاد ..

كل هذه العوامل بجانب نقمة العسكريين على الحكومة ادى الى تحرك الشعب ليفرض سلطته وسيادته وقامت المظاهرات فى المدن السورية واتخذت مظهرا عنيفا ضد الحكم القائم فاضطرت الحكومة الى اتخاذ اجراءات شديدة ضد الاهالى واعلنت الاحكام العرفية فلما لم يثمر هذا كله مع الشعب الهائج الثائر استعانت بالقوى المسلحة لتضرب بها الشعب ولتقضى بها على ثورته

ورأى الزعيم حسنى الزعيم وهو قائد الجيش والقوى النواب .

المسلحة أن فالرصة قد سنحت له ليتدخل لاصلاح الأوضاع فى البلاد وليعيد اليها الهدوء وليعمل على تحقيق مطالب الشعب وتوفير الحياة الكريمة له

وفى ٣٠ آزار (مارس) ١٩٤٩ احتلت قوات الجيش دمشق واعتقلت رئيس الجمهورية ووزير الدفاع واذاع قائد الانقلاب بيانه الذى أشرنا اليه الذى صور للشعب ان الانقلاب هو السبيل الوحيد الى استقرار الاوضاع فى البلاد والى تحقيق كل ما يصبو اليه الشعب

ولا ينكر احد ان الانقلاب قوبل من الشعب فى اول الامر بالرضا وصاحبت الانقلاب حالة انفراج بأمل أن يكون العهد الجديد أسعد حظا فى خدمة الدولة وأكثر توفيقا فى تحقيق مطالب البلاد وتطلع الشعب العربى فى سوريا الى هذا العهد بتفاؤل فى حل جميع المشكلات التى كان يعانى منها الشعب واقرار حياة نيابية سليمة .

أما قائد الانقلاب فتاريخه يؤكد أن رتبته ونشأته لم تسمحا له ان ينال قسطا كافيا من التعليم وأبدا كان جاهلا بشئون السياسة والرئاسة والحكم كما انه يقال عنه انه كان ضعيف الشخصية تشوب حياته الكثير من الاتهامات والسلوك السيء الذى يمس سمعته .. وعندما ما تولى شئون الدولة ولم يكن ذلك يخطر على باله أبدا كان يشعر بأن ذلك قد تم عن طريق القوى المسلحة وأنه لولا مساندة هذه القوى له ما وصل الى مكانته التى اصبح فيها واهذا فقد كان دائم الخوف يخشى ان يثور صده واحد من رجاله ولهذا أمر باعداد حرس خاص له يحيط به ليحميه وأخذ يغدق على حماية نفسه وتعزيز مركزه فأمر بابعاد بعض من الضباط ذوى هذا الحرس الهدايا مما أغضب الكثيرين عليه كما بدأ يفكر فى القوى والبأس والشخصيات القوية

المهم ان حسنى الزعيم تولى بحكم كونه قائد الانقلاب مهام الحاكم العسكرى للجمهورية السورية وتمتع بكافة الصلاحيات الممنوحة لرئيس الدولة .

واستهل حسنى الزعيم حياته الجديدة فاستصدر مرسوما بحل المجلس النيابى وبتوليه السلطتين التشريعية والتنفيذية ثم

أمر بحل جميع الاحزاب السياسية ثم ألف وزارة برئاسته تولى فيها الامناء العموميون ادارة مصالح الحكومة وقبل الشعب العربي في سوريا هذه القرارات وانتظر أن يقوم عهد جديد مشرق على انقضاض العهد البائد الذى أطاح به الانقلاب الاول .

واتخذ حسنى الزعيم خطوات اصلاحية كثيرة اثر توليه السلطة وبدأ باصلاح أجهزة الدولة وكون لجانا لاعادة النظر فى القوانين الموجودة ولسن قوانين جديدة واصدر القانون المدنى الجديد فى ١٨ ايار (مايو) ١٩٤٩ واصدر قانون العقوبات وقانون التجارة وقانون التحسين العقارى واصدر مرسوما بالغاء الاوقاف وحلها وتصفيتها

ومن اهم الاعمال التى قام بها حسنى الزعيم محاولة عزل الدين عن الدولة وسيادة قانون الدولة فى جميع المرافق .

الا أن حكم حسنى الزعيم قد بدأ يميل الى الانهيار وأحس الناس ان كرسى السلطة قد بدأ يهتز من تحته وفعلا تحقق ماتوقعه اى بعد خمسة شهور من قيامه بالانقلاب .. فما هى اذن الدوافع والاسباب التى ادت الى انهيار حكمه بهذه السرعة وعلى هذه الصورة العنيفة التى تم بها اذ من المعروف أنه قبض عليه ليلة الانقلاب الثانى وقدم لمحاكمة سريعة ثم أعدم !!

من الواضح أن حسنى الزعيم جمع فى يديه بصفته قائد الانقلاب جميع المسئوليات والسلطات منذ اللحظة الاولى لانقلابه واصبح واضحا أن سوريا قد بدأت تعيش فى فترة حكم فردى مطلق وهذا الحكم الفردى لا يتفق مع السياسة العميقة التى رسمها الشعب العربى فى سوريا لنفسه منذ بدأ يعد لنفسه سياسته ويخطط سبل حياته .

وقد لمس ذلك أيضا الضباط الذين شاركوا فى الانقلاب حتى انهم بدأوا يحسون أن هناك انحرافا فى سياسة حسنى الزعيم وميلا شديدا الى الحكم الفردى ولمس الجميع أنه قد استبد به الطموح بعد أن وجد نفسه بين لحظة وأخرى زعيما وقائدا وحاكما ورئيسا للدولة ولهذا اتبع سياسة استبداديه

فأمر بتقييد الحريات العامة واعتقل كل من عارض حكمه من الكتاب ورجال الفكر والصحافة وفتح أبواب السجون ونشر الارهاب والتعذيب .. وفى ٤ حزيران (يونية) فوجئت البلاد بصدور مرسوم ١٠٦ يدعو الشعب السورى الى الاقتراع السرى لانتخاب رئيس الجمهورية وفتح باب الترشيح لهذا المنصب ولم يتقدم أحد للترشيح سواه وفى ٢٥ من الشهر جرى الاستفتاء وفى ٢٦ منه أعلن انتخابه رئيسا للجمهورية السورية .

هذا هو موقف حسنى الزعيم فى الداخل فكيف كانت سياسته الخارجية وكيف عالج علاقة سوريا بالدول العربية والغربية ؟

لقد أوضح حسنى الزعيم فى بداية عهده سياسته تجاه المنطقة العربية فقال فى بيان له انه حريص على التقيد بميثاق جامعة الدول العربية وأنه يرحب بأى اتحاد أو ميثاق بين هذه الدول ويؤيد كل خطوة ترمى الى تقوية أواصر المودة بين سوريا وبين شقيقاتها .

وعقب نجاح الانقلاب أسرعت كل من العراق والاردن فاعترفتا بالوضع الجديد وقيل وقتها أن اتفاقا تم بين الزعيم وبين الملك عبد الله فى مقابلة فى بلدة المفرق وأن الانقلاب قام لصالح الاسرة الهاشمية كما قيل ان مقابلة تمت بين الزعيم ونورى السعيد على حدود سوريا والعراق لتأييد فكرة الانقلاب لصالح الاسرة الهاشمية .

وتنبهت الاسرة الحاكمة فى السعودية والاسرة الحاكمة فى مصر الى أن هذا الوضع الذى تتبناه الاردن والعراق قد يكون جامعة الدول العربية وأنه يرحب بأى اتحاد أو ميثاق بين هذه لمصر على أن يبقى الزعيم فى جانب مصر والسعودية .. وبعودته الى دمشق تغير موقفه فجأة ازاء الاردن والعراق حتى انه أعلن من محطة الاذاعة فى دمشق فى ٢٦ نيسان (ابريل) ١٩٤٩ سياسته حيال الاردن والعراق فقال « لا نرضى بسوريا الكبرى ولا بالهلال الخصيب » وتمادى حسنى الزعيم فى تحديه للدولتين الهاشميتين حتى انه هدد بارسال الجيش السورى لاحتلال الاردن .

وأثارت هذه التصريحات غضب الاردن والعراق وعدم رضاهما على سياسته وساءت العلاقات حتى أدت الى اغلاق الحدود بين سوريا والاردن ورغم أن الحدود فتحت بين البلدين الا أن القوات السورية رابطت على حدود الاردن .

أما سياسته فى المحيط العالمى فقد كان واضحا أن حسنى الزعيم كان يتجه الى أمريكا وفرنسا ولقد باعد رفضه لمشروع الهلال الخصيب وشروع سوريا بينه دبين انجلترا فهى قد أيدت الانقلاب منذ ساعاته الأولى طمعا فى أن يتجه العهد الجديد الى تحقيق أحد هذين المشروعين أو المشروعين معا .

وحدث تقارب بين حسنى الزعيم وأمريكا وفرنسا وزاد التقارب حين رفض تنفيذ المشروعين فى المنطقة العربية من ناحية وحين قبل اتفاقيتى التلابلاين والنقد وقيل انه وافق على الاتفاقيتين مع مافيهما من مساس بسيادة سوريا طمعا فى أن تقف الدولتان بجانبه وتؤيدان انقلابه وتعترفان بحكمه .

ولقد بدأت الشكوك تنتاب الشعب العربى فى سوريا وبدأ يحس احساسا صادقا أن حسنى الزعيم لايعمل من أجل الشعب ومن أجل البلاد وانما يعمل من أجل نفسه ولمس الشعب كيف زور حسنى الزعيم الاستفتاء الشعبى ليخدم بذلك مطامعه الشخصية ورأى الشعب حسنى الزعيم يعيش حياة رغدة مسرفة فهو يكثر من اقامة الحفلات وهو مسرف متلاف لاموال الدولة .

وعادت الصورة الكريهة التى كانت تتمثل أمام الشعب العربى فى سوريا فى عهود ماقبل الانقلاب الى الظهور ثانية أمام عينيه ورأى الشعب العربى فى سوريا نفسه فى فراغ سياسى لم يألفه من قبل فلا أحزاب ولا سياسة معينة مرسومة ولا برامج اصلاحية ولا استناد الى قوة شعبية .

وأصبح واضحا أن عهد حسنى الزعيم يسير الى نهايته بسرعة لم يكن هو نفسه يتوقعها ومن أهم العوامل التى سارعت الى انهاء حكمه ...

١ ـ كانت هناك بعض الاحزاب التى تؤيد مشروعى سوريا الكبرى والهلال الخصيب اغضبها موقف الزعيم وكانت تأمل أن

يأتى الانقلاب برجل يمهد لتحقيق المشروعين ويعمل له ... ولهذا عارضت هذه الاحزاب عهده والمعروف أن حزب الشعب كان يؤيد المشروعين وأن الحزب القومى السورى كان يرى ضرورة اتحاد سوريا بأكملها ايمانا منه بفكرة القومية السورية .

٢ ـ كان لرفض الزعيم للمشروعين أن غضبت عليه انجلترا وقال المعلقون السياسيون أن انجلترا كانت قد يئست من استمالته الى جانبها ففكرت فى التخلص منه وأخذت تمهد لذلك وترسم لانهاء عهده وتخطط لانقلاب آخر .

٣ ـ الشعب السورى ينفر من الحكم الفردى ويتمسك بأن يكون الحكم دستوريا جمهوريا وبأن تكون السيادة للشعب .. ومن هنا بدأ الشعب ينصرف عنه ويغضب عليه ويأمل أن ينتهى عهده .

٤ ـ أخذ حسني الزعيم يتقرب الى فرنسا وأثار بذلك حساسية الشعب الذى يكره فرنسا كرها كبيرا نتيجة لما ذاقه على يديها خلال فترة الانتداب .. وقيل ان حسنى الزعيم كان يستخدم الفرنسية فى الاوامر التى تصدر من القيادة وعلى هذا الاساس أصبح حسنى الزعيم من وجهة نظر الشعب من دعاة التقرب الى فرنسا ولهذا لم ينظر اليه الشعب بعين الارتياح .

٥ ـ ابتعد الضباط الذين قاموا معه بالانقلاب عنه اذا بدءوا يحسون انه يعمل لنفسه وأنه قد خرج عن المخطط الذى وضعه رجال الانقلاب .. وفى ذات الوقت بدأ هو يتخلص من الضباط الاقوياء الذين كان يخشى أن تخرج من بينهم من يقود انقلابا جديدا ضده .

٦ ـ فقد حسنى الزعيم تأييد رجال الاحزاب فقد الغى الاحزاب ولم يسمح بعودتها ولم يفكر فى انشاء حزب سياسى فى البلاد مما ادى الى وجود فراغ سياسى كبير

٧ ـ وقفت بعض البلاد العربية وخاصة الاردن والعراق موقفا معاديا لحسنى الزعيم وكانت هذه البلاد ذات اثر فى اثارة بعض العواطف ضده فى داخل سوريا

٨ ـ اشيع ان حسنى الزعيم فكر جديا فى وضع اسرائيل

وقرر ان يعترف بها وان ينهي معها الموقف وان يدخل في صلح معها وكان هــذا الاتجاه هو المعول الضخم الذي هد كيانه وزلزل عهده فان الشعب العربي في سوريا الذي روى ابناؤه وشهداؤه ارض فلسطين بدمائهم لا يقبل ابدا ان حكمه حاكم يضع يده في يد اسرائيل

* * *

نخرج من هذا كله الى ان حسنى الزعيم انحرف عن الطريق الذي رســمه لنفسه وانشغل ببناء مجد شخصي دون ان يهتم بمصالح امته وترتب على ذلك ان اصبح مكروها من الشعب الذي ادار له ظهره ولم يسنده ولم يقف بجانبه بل بدأ يتطلع الى انهاء عهده ..

ووقع حسنى الزعيم في اخطاء عديدة وضاق به الشــعب

وهــكذا تهيأت الإذهان لا نقضــاء عهد حســنى الزعيم ولاستقبال عهد جديد .. وشاءت ارادة الشعب العربي في سوريا ان ينتهي حســنى الزعيم وانتصرت ارادة الشــعب وتحققت مشيئته .

وهكذا اثبت الشعب العربي في سوريا ان الكلمة دائما هي كلمته وان السيادة فوق ارضه هي سيادته ..

(٢)

إنقلاب سامى الحناوى

١٤ آب سنة ١٩٤٩
١٩ كانون الثانى ١٩٤٩

ان الشعب العربى فى سوريا لم يؤمن بفكرة الاتحاد مع العراق ومن أجل هذا انهار حكم سامى الحناوى

لقد اظهرت الايام التى تولى فيها حسنى الزعيم مقاليد الحكم فى سوريا انه رجل لا رأى مستقر له ولا سياسة ثابته وهذا فضلا عن الغرور الذى تملكه ..

كما أظهرت هذه الايام ثورة الارادة الشعبية فى سوريا فان الشعب قد امتعض من حكمه وكره بقاءه

وفى ليلة ١٤/١٥ آب (أغسطس) ١٨٤٩ توجهت بعض من القوات السورية المسلحة الى بيته وألقت عليه القبض كما قبضت على محسن البرازى رئيس الوزراء فى عهده وقدم الاثنان الى محاكمة سريعة وحكم عليهما بالاعدام ونفذ فيهما الحكم واستيقظ الشعب فى الصباح ليستمع الى البيان رقم ١ الذى أصدره قائد الانقلاب الجديد الزعيم سامى الحناوى واطمأن الشعب وتنفس الصعداء لزوال حكم الزعيم وتطلع الى العهد الجديد بأمل أن يكون أكثر وطنية وايمانا وصلاحية .

ورغم ان الارادة الشعبية كانت وراء هذا الانقلاب الا ان المعلقين السياسيين يقولون انه كانت وراءه أيضا قوتان .. قوة الاردن والعراق اللذين غضبا على حسنى الزعيم كما اوضحنا وقوة انجلترا التى كانت غاضبة عليه ايضا

وسامى الحناوى قائد الانقلاب الجديد كان ضابطا برتبة الزعيم مقربا الى الضباط لهدوئه وطيبة قلبه وكبر سنه .. تقرب اليه الضباط والتفوا حوله وزادت الصلة بينه وبينهم حين علموا انه ساخط على سياسة حسنى الزعيم .. والمعروف ان علاقته به كانت علاقة غير طيبة وكانت هناك احقاد شخصية بين الاثنين حتى أن حسنى الزعيم كان كما جاء فى كتاب « شكرى القوتلى » يشبه الحناوى (بالخروف) ويدعوه بابا سامى سخرية منه واستهزاء ...

قام سامى الحناوى بانقلابه واذاع بيانه رقم ١ على الشعب وقال فيه « ان حسنى الزعيم حين استتب له الامر اخذ يتطاول هو وحاشيته على اموال الدولة فيبذرونها بالاثم والباطل وعلى كرامة البلاد ومقدساتها فيدوسونها ويعبثون بقوانين الامة وحريات الافراد ولهذا عزم جيشكم على ان يخلص البلاد من الطاغية »

وجاء فى البيان ان الجيش سيترك مقاليد الامور فى الدولة الى الساسة والزعماء

وقال الحناوى فى بيان آخر انه قام بحركته انقاذا لسمعة البلاد وكرامتها مما صارت اليه

وكان واضحا أن الحناوى لم يكن يطمع فى أن تظل أمور البلاد فى يديه ولهذا فانه وجه الدعوة الى الساسة للاجتماع به فى رئاسة الاركان للتشاور معا فى الأمر ولتأليف وزارة تتولى شئون البلاد وتدير دفة الأمور وتعد لاجراء انتخابات عامة لمجلس تأسيسى يضع دستورا للبلاد

وفى هذا الاجتماع استقر الرأى على أختيار هاشم الاتاسى رئيسا للوزارة يتولى شئون البلاد حتى يتم تشكيل الجمعية التأسيسية التى تضع الدستور الجديد بدلا من الدستورالذى عطله حسنى الزعيم .

وفى هذا الاجتماع استقر الرأى على اختيار هاشم الأتاسى نشاطها من جديد

وفى ١٦ تشرين الثانى « نوفمبر » ١٩٤٩ أجريت الانتخابات وفاز فيها حزب الشعب بالاكثرية واجتمع المجلس التأسيسى فى ١٢ كانون الأول « ديسمبر » وانتخب رشدى الكخيا رئيس حزب الشعب رئيسا للمجلس وانتخب هاشم الاتاسى رئيسا للدولة فعهد الى ناظم القدسى بتأليف الوزارة .

وبدأ المجلس فى مباشرة أعماله من أجل وضع دستور جديد للبلاد .

وببداية عهد الحناوى بدأت فكرة الهلال الخصيب تظهر على مسرح السياسة فى سوريا وكان الاتجاه على ما يبدو فى المجال السياسى يميل الى العراق والأردن بدلا من مصر والسعودية حتى ان مفاوضات بدأت بين هذين القطرين فى سبيل قيام اتحاد سياسى وطيد وثيق معهما وجاءت الى سوريا وفود رسمية وأخرى غير رسمية لهذا الغرض وقال أحد الكتاب ان نورى السعيد ــ وكان من أشد المتحمسين لمشروع الاتحاد ــ كون حزبا من العراق أسماه حزب الاتحاد الدستورى وكان هدفه

هو تنفيذ المشروع وأرسل نورى السعيد الوفود الى دمشق لاجراء المحادثات لوضع المشروع موضع التنفيذ .

وعندما أنعقدت الجمعية التأسيسية فى ١٢ كانون الاول « ديسمبر » وضعت فكرة الاتحاد مع العراق كقضيةدستورية اساسية وانقسم الرأى العام فى سوريا الى قسمين .. قسم يؤيد اتحاد البلدين تحت التاج الهاشمى وقسم يعارض قيام الاتحاد .. الرأى الاول كان يرى ان سوريا ستندمج فى الدولة الجديدة وستتبع النظام الملكى ، ومن عجب ان سامى الحناوى كان يؤيد هذا الرأى ويزكيه ومن ورائه حزب الشعب بأجمعه وبعض من أعضاء الحزب الوطنى .. والرأى الثانى كان يرى ان تبقى سوريا جمهورية مستقلة ذات سيادة وان تسعى بوضعها هذا الى الوحدة العربية وكان اصحاب هذا الرأى يقولون كيف تتحد سوريا المستقلة مع العراق التى لا تملك من امر نفسها شيئا وامرها كله موكل الى ايد انجليزية تخطط لها كيانها ومستقبلها .. وطالب اصحاب هذا الرأى العراق بان تحاول التخلص اولا من قبضة النفوذ البريطانى وكان يؤيد هذا الاتجاه كثيرون من اعضاء الحزب الوطنى وحزب الشعب العربى الاشتراكى

ووضح ايمان الشعب العربى فى سوريا بالقومية العربية وبالوحدة العربية فعندما عقدت الجمعية التأسيسية جلساتها فى ١٧ كانون الأول « ديسمبر » عارض كثير من أعضائها المشروع معارضة نابعة من وجدانهم .. من قلوبهم التى امتلأت ايمانا بالقومية العربية وبالوحدة العربية فقد قال أحدهم فى صراحة ووضوح نحن نريدها وحدة شعوب .. لا وضدة ملوك ولا وحدة عروش ولا وحدة تيجان » .. وقال آخر فى تعبير قوى سليم ..

« اننا نضحى بأى شكل من أشكال الحكم من أجل الوحدة العربية » .. ولم يقتصر الخلاف على موضوع الاتحاد مع العراق فى الداخل فقط بل كان هذا الموضوع موضع بحث فى الخارج فى القطاعين العربى والغربى

ففى القطاع العربى كانت السعودية ومصر تعملان على معارضة هذا المشروع وتعطيله وعلى جذب سوريا الى جانبهما ... ومن

الجانب الآخر كانت الاردن والعراق يؤمنان ايمانا راسخا بالمشروعين معا مشروع الهلال الخصيب ومشروع سوريا الكبرى .

واما فى النطاق الغربى فقد كانت بريطانيا تؤيد المشروع تأييدا بعيد المدى لأنها كانت ترى فيه الفرصة الكبيرة لتقوية نفوذها فى المنطقة العربية . . اما فرنسا وامريكا فقد وقفت موقف المعارضة واخذتا تعملان على احباط المشروع وفشله

وازداد الانقسام فى الداخل واشتد الخلاف فى الخارج بين القوتين المتصارعتين وفجأة اتضح وبان لكل ذى عينين ان سامى الحناوى قائد الانقلاب من مؤيدى فكرة الاتحاد مع العراق . وقيل انه كان يجتمع سرا مع الملحق العسكرى العراقى فى دمشق لدراسة المشروع ، وقيل فى تبرير تأييده للمشروع انه حلبى أى من حلب وحزب الشعب وهو حزب الغالبية البرلمانية قوته اصلا بعيد . . وهذا كله هو الذى دعا الحناوى الى ان يضع الفكرة والمشروع موضع الجد وبدأ يفكر فى وسيلة التنفيذ حتى قيل انه أراد ــ بمعاونة بعض من العسكريين ومن السياسيين وبتأييد من انجلترا ــ أن ينفذ المشروع وأن يضعه موضع اليقين ولو استدعى الأمر استخدام القوة والاستعانة بقوات عسكرية من العراق . . .

وأصبح واضحا ان سامى الحناوى قد خرج عن حدود الرغبة الشعبية فى سوريا فالشعب العربى هناك لا يريد اتحادا مع العراق ولا يقبل اتحادا مع الاردن لأنه يعتبر أن اتحاده مع احدى هاتين الدولتين ما هو الا محاولة للقضاء على المبدأ العظيم الذى آمن به الشعب وهو قيام وحدة عربية كاملة شاملة . . .

وطالما تعارضت ارادة الشعب مع ارادة الحاكمين فان ارادة الشعب هى التى تسود وتاريخ النضال الشعبى فى سوريا يؤكد أن الانتصار والفوز يكونان دائما للارادة الشعبية . .

وفعلا انتصرت ارادة الشعب .. وانتهى حكم الحناوى فى يوم ١٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٩ ولم تمض على انقلابه اربعة أشـــهر

ومرة أخرى فشل انقلاب الحنـــاوى كما فشـــل من قبل انقلاب حسنى الزعيم

ومرة اخرى بقيت ارادة الشعب العربى فى سوريا قوية موفورة الجانب

(٣)

إنقلاب أديب الشيشكلي

١٩ كانون الاول ١٩٤٩
٢٥ شـــباط ٣٤٩٨

ان قيام الاتحاد مع العراق أو الاردن يطيح باستقلال سوريا ويبعد بنا عن تحقيق الوحدة العربية باجلى معالمها

اولا ...

المرحلة الاولى من الانقلاب

١٩ كانون الاول ١٩٤٩
٢٩ تشرين الثاني ١٩٥١

> ان الجيش يرى فى المشروع الاستعمارى مؤامرة للقضاء على استقلال سوريا وتحطيم جيشها وانشاء عرش جديد يبعد تحقيق الوحدة العربية المنشودة

كانت اللحظة التى اوضح فيها سامى الحناوى موقفه من مشروع الاتحاد مع العراق هى بداية نهايته ونهاية حكمه فقد بدأ الضباط فى الجيش يرون فى سياسته خروجا عن المبادىء التى قرروها يوم عاونوه للقيام بانقلابه وانحرافا عن السياسة المرسومة للانقلاب ، وكان ضباط الجيش يرون الشعب العربى فى سوريا وهو يبدى اعتراضه على هذا المشروع ويقاوم تنفيذه وكانوا يرون فى أنفسهم حماة لمطالب الشعب وقوة تنفيذ رغباته وتحقق مشيئته ، ولهذا بدا هؤلاء الضباط فى معارضةمكشوفة بعد ان كانوا يعارضونه فى الخفاء .. واحس الحناوى ان فى الجو شيئا يرتب ضده وان مجوعة من الضباط قد بدأت تهدم فكرة الاتحاد التى آمن بها فأراد أن يؤمن نفســـــه من خطر انقلاب عسكرى ضده فدعا بعضا من الضباط الذين كان يخشى قيامهم بالانقلاب للاجتماع به وعرف هؤلاء أن النية متجهة الى اعتقالهم وزجهم فى السجون فلم يستجيبوا لدعوته فما كان منه الا أن كشف النقاب عن نواياه واصـــدر أوامره باعتقـــالهم وكان على راسهم الزعيم أديب الشيشكلى

وجمع اديب الشيشكلى زملاءه وقام فى ليـــلة ١٩ كانون الاول ١٩٤٩ (ديسمبر) بثالث انقلاب عسكرى فى سوريا واعتقل الحناوى ومؤيديه من الضباط

وأديب الشيشكلى ضابط برتبة زعيم اشترك فى جميـــع الانقلابات السابقة . . كان وراء كل انقلاب فهو كان احد مؤيدى انقلاب حسنى الزعيم .. وكان أحـــد مؤيدى انقـــلاب سامى الحناوى .. واخيرا برز على المسرح الســـياسى فى سوريا قائدا للانقلاب الثالث وكان هدفه من حركته هو الحيلولة دون تنفيذ مشروع الاتحاد مع العراق .

وتحـــدث الشيشــــكلى الى الشعب فى ٢٦ كانون الأول (ديسمبر) فاوضح فى بيانه ثلاثة امور هامة ...

وهو يعبر عن الامر الاول بقوله « أن الجيش الســـــورى بضباطه وجنوده عربى قوى ينشد الوحدة العـــربية الصحيحة بأجلى معانيها وأن الجيش يرى فى المشروع الاستعمارى مؤامرة

يقصد منها القضاء على استقلال سوريا وتحطيم جيشها وانشاء عرش يبعد عن تحقيق الوحدة المنشودة ... »

وهو يوضح الامر الثاني في قوله « انه تبين لسوء الحظ أن اللواء الحناوي لم يكن غير ارادة طيعة تسيرها اهواء مغرضة تستهدف القضاء على استقلال البلاد فقد بدأ فور تسلمه مركز رئاسة الاركان العامة بمفاوضات مع كبار الجيش بطريق مباشر وغير مباشر للموافقة على اعلان اتحاد سياسي يطيح باستقلال سوريا ونظامها الجمهوري مبينا أن القيام بهذا العمل يجب أن يكون بصورة مفاجئة تجعل حسب زعمه الراى العام في سوريا أمام الامر الواقع ... »

وهو يصور حقيقة الامر الثالث في قوله « في الايام التى سبقت اقصاء اللواء الحناوي نقل الى بعض الضباط من مصادر موثوق بها ان بعض رجال السياسة اشترطوا على الحناوي اعتقال عدد كبير من الضباط حتى يتسنى لهم حل الجمعية التأسيسية ولو بالقوة اذا اقتضى الأمر اقرار المشروع الاستعماري فورا ... »

اذن يفهم من هذه الأمور الثلاثة أن :

١ ــ الجيش السوري كان يميل الى تحقيق وحدة عربية شاملة

٢ ــ الاتحاد مع العراق كان ضد رغبات الشعب العربي في سوريا

٣ ــ الاتجاه الى تنفيذ المشروع كان يقوم على أساس فرضه بالقوة
من أجل هذا انهار حكم سامي الحناوي وبدأ حكم أديب الشيشكلي ...

وظلت الأوضاع الدستورية في البلاد كما هي دون تغيير أو تبديل وتركت الجمعية التأسيسية التى تكونت في بداية عهد الحناوي تزاول أعمالها وتستمر في وضع الدستور الذى كلفت به

وكان اديب الشيشكلي يرقب الاحداث عن كثب فلم يغب

عن باله ابدا ان الجمعية التاسيسية اكثرية اعضائها من حزب الشعب الذى عرف بتأييده لفكرة الاتحاد مع العراق وبسعية الدائم الى تحقيق هذه الفكرة

واتخذ الشيشكلى خطوة ايجابية فى الموقف وحاول ان يجد لنفسه داخل الجمعية التأسيسية قوة تمثل اتجاهات العسكريين وتقف فى وجه أكثرية حزب الشعب وتناوئها واستطاع فعلا أن يجد لنفسه فى داخل الجمعية كتلة تعاونت مع العسكريين تعاونا مطلقا أدى الى وجود نفور دائم بين الوزارة القائمة وبين العسكريين

وبدأ العسكريون يتدخلون فى أمور الوزارات وكانوا يعملون على ايجاد هوة سحيقة بين الشعب والوزارة التى كان يمثلها حزب الشعب

واتجه الشيشكلى الى الصحافة ووكالات الانباء يدلى اليه بتصريحات من شأنها اضعاف موقف الوزارة واظهارها بمظهر العاجز عن مباشرة شئون الدولة وأمورها ، وكانت النقطة التى بدأ منها الخلاف هى منصب وزير الدفاع فحزب الشعب الذى يشكل الوزارة كان يرى أن يعين واحد من رجال الحزب وزيرا للدفاع أما العسكريون فقد رغبوا فى ترشيح رجل عسكرى لهذه الوزارة وأعلنوا عن اسم مرشحهم الزعيم فوزى سلو وتجلى الصراع سافرا بين الفريقين ولم يتوان أديب الشيشكلى عن تهديد الوزارة وانذارها بأن الجيش بالمرصاد وأنه سيحقق ما يريد وسيحطم كل من يقف فى سبيله

فى ٤ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٠ انتهت اللجنة التأسيسية من وضع الدستور

وكان ظهور الدستور تحقيقا لرغبة عامة فى تعديل دستور ١٩٣٠ الذى صدر فى عهد الانتداب وأهم مايلفت النظر فى هذا الدستور هو الاتجاه الشعبى العام فى سوريا الى تحقيق الوحدة العربية فى ظل القومية العربية فقد نص الدستور صراحة على أن الشعب العربى فى سوريا جزء من الامة العربية وانه يتطلع الى اليوم الذى تتمتع فيه الامة العربية فى

دولة واحدة وأن الشعب سيعمل على تحقيق هذه الامنية ووضعها موضع التنفيذ

ومما يلفت النظر أيضا فى الدستور انه حدد اتجاه الدولة الى الاشتراكية ومعنى هذا ان الشعب العربى فى سوريا بدأ ينظر فى أوضاعه الاقتصادية على أساس من العدالة الاجتاعية
ونصت مواد الدستور على منح المرأة حق الانتخاب ورعاية الأسرة وحماية الدولة للزواج والتشجيع له واباحة التعليم لكل فرد فى الدولة ومنح العامل أجرا يتناسب مع عمله واجراء تنظيم حر للنقابات فى حدود القانون

وفى ٥ ايلول (سبتمبر) اجتمعت الجمعية التأسيسية ونظرت فى مواد الدستور وتباحثت فيها ثم أقرته بجميع مواده

وفى ذات الجلسة ظهر اتجاه يدعو الى تحويل الجمعية الى مجلس نيابى وكان أصحاب هذا الاتجاه يرون أن البلاد لاتتحمل هزتين انتخابيتين فى وقت قصير وأيد الجيش هذا الاتجاه وتحولت الجمعية التأسيسية الى مجلس نيابى

وانتخب المجلس النيابى هاشم الأتاسى رئيسا للجمهورية وألف حزب الشعب الوزارة .

ولكن الشيشكلى لم يشأ أن يترك أمور الدولة فى يد المدنيين ينفردون به وحدهم وانما اراد ان يكون للعسكريين نفوذ ورأى فى السياسة التى توجه الدولة

ومع بقاء الاوضاع الدستورية كما هى هى أصبحت سوريا تحكم فى وقت واحد بنظامين .. نظام دستورى يتمثل فى رئيس الجمهورية والوزارة والمجلس النيابى .. ونظام عسكرى يمثل فى قائد الانقلاب ومن رائه الضباط والقوى المسلحة .. وأصبحت قائد الانقلاب ومن ورائه الضباط والقوى المسلحة .. وأصبحت والعسكريين

ولم يكن بين النظامين تفاهم أو انسجام ولم تكن مهمة النظامين سهة هينة فقد بدأ الصراع بين القوتين .. المدنيون يريدون حكما مدنيا خالصا لاتدخل فيه من جانب العسكريين

يتمتعون بالحقوق التى نص عليها الدستور ... فى معالجة شئون البلاد وفى تحملهم للمسئولية تحملا مطلقا والعسكريون يريدون ان يرقبوا سياسة الحكومة وأن يتدخلوا فى أعمالها بالقدر الذى يسمح لهم بالمحافظة على الاهداف التى قاموا من أجلها بانقلابهم

اذن لم يكن هناك تقارب بين الطرفين ولم يحاول احد الطرفين ان يتقارب مع الطرف الآخر واصبح كل طرف فى واد

وكانت نقطة الخلاف الاساسية أن الوزارة تمثل حزب الشعب وهذا الحزب يؤيد فكرة الاتحاد مع العراق بينما يرفض أديب الشيشكلى هذا الاتحاد ويعارض هذا الاتجاه حتى انه ثار مع زملائه ضد الحناوى الذى كان يؤيد قيام الاتحاد بقصد هدم الفكرة من أساسها ، وحتى ان رئاسة الاركان العامة اخذت فى تطهير الجيش من الضباط الذين تربطهم بحزب الشعب صلات وعلاات وروابط فأحالت عددا كبيرا الى التقاعد .

وبدأت الازمة الوزارية .. وزارة تأتى ثم تذهب لتأتى وزارة أخرى لا تلبث أن تذهب .. وهكذا استمر الوضع حتى بلغ عدد الوزارات التى تولت الحكم خلال عامين ست وزارات

وفى خلال هذه الفترة كانت رئاسة الاركان تدهم منازل النواب الذين تشتبه فيهم وتتهمهم بالتآمر على الدولة كما كانت تبث الرعب فيمن تحدثهم انفسهم باتخاذ موقف معاد للقوات المسلحة ...

وتعاقبت الحوادث وبدا النزاع سافرا بين الوزارة والعسكريين .. وأخذ العسكريون يبدون الرأى فى تشكيل الوزارة وفى اختيار رئيس الوزارة رغم أن الاغلبية فى مجلس النواب لحزب الشعب ، وفرض العسكريون فى أكثر من مرة رئيسا للوزارة من المستقلين كما حدث حين اختير خالد العظم للوزارة مرتين وحسن الحكيم لها مرة .

ووقعت فى هذه الآنة حادثة كانت ذات اثر كبير فى تحول مجرى الامور فى دمشق .. ففى ١٢ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٥٠ أطلق الرصاص على سيارة الشيشكلى وهو يمر بها قرب

دمشق واتهم انصار الحناوى وحزب الشعب بتدبير المؤامرة واتخذ العداء بين الشيشكلى وحزب الشعب صورة عنيفة حتى ان الحزب بدأ يتصل ببعض العسكريين ويرسم لهم خطة التخلص من الشيشكلى ويوجههم للاطاحة به ... وحدث فعلا ان استجاب بعض العسكريين للحزب وأخذوا يوجهون نظر الشيشكلى الى انه يخطىء الطريق ويتبع سياسة ضارة بالبلاد واغضبه هذا التدخل من جانب الضباط فقرر ان يتخلص منهم الواحد وراء الآخر ودبر حادث اغتيال العقيد الطيار محمد ناصر آمر القوات الجوية وأدرك الضباط انه كان وراء الحادث واستغل حزب الشعب الحادث ودفع الضباط ليطالبوا بالافراج عن سامى الحناوى وأعوانه وكانوا معتقلين منذ قيام الانقلاب الثالث واضطر الشيشكلى الى الرضوخ لارادة الضباط ولكنه امر بأن يغادر المفرج عنهم الاراضى السورية عقب الافراج فاتجه الحناوى الى لبنان وعاش فى بيروت الى ان اذيع فى احد الايام نبأ اغتياله فى احد شوراع بيروت بيد محمد حرشو البرازى أخذا بالثأر لابن عمه محسن البرازى الذى كان رئيسا للوزارة فى عهد حسنى الزعيم وقبض عليه الحناوى ليلة الانقلاب واعدمه واراد حزب الشعب أن ينتهز فرصة تشييع جنازة الحناوى لاثارة العواطف ضد الشيشكلى وتنبه هو الى هذا الاتجاه فأصدر امرا بعدم تشييع الجنازة رسميا .. وهنا قرر حزب الشعب أن يشيع القتيل فى بلده حلب وبعد دفنه وقف بعض النواب الشعبيين والقوا الخطب ومسوا فيها الحكم القائم وابدوا نقمتهم على الوضع الموجود وأظهروا غضبهم على أديب الشيشكلى فى صراحة ووضوح ... وفى اليوم التالى رد الشيشكلى على خطباء الحزب فالقى خطابا هددهم فيه باتخاذ اجراءات عنيفة ضدهم ووصفهم فى خطابه بأنهم خصوم للجمهورية وانهم يعملون بوحى اجنبى

وبلغ الصراع مداه وهاجت العواطف بين المعسكرين على اثر حملة تزعمها اصدقاء الجيش واعوانه فى المجلس النيابى متهمين الحكومة بالسير فى ركاب المعسكر الغربى وكان ناظم القدسى هو رئيس الوزارة فى هذه الآونة فاستقال وعند المشاورات لتاليف وزارة جديدة تدخل العسكريون وفرضوا شروطا معينة

مما ادى الى استمرار الازمة الوزارية فترة طويلة واخيرا الف خالد العظم الوزارة ولكن سرعان ماأثيرت فى وجهه الازمات المقنعة واهم هذه الازمات اضراب موظفى الدولة احتجاجا على غلاء المعيشة وعجزت الحكومة عن ايجاد حل لمشكلة الموظفين

واستقال خالد العظم فكلف فارس الخورى بتأليف الوزارة ولكنه اعتذر والفها حسن الحكيم وهو من السياسيين القدامى وله صلات وثيقة بالهاشميين وكان من السهل الاطاحة بحكمه حين أشيع انه وأنصار الاتحاد مع العراق قد وضعوا خطة سرية لتنفيذ قيام الاتحاد وأنهم أتفقوا على الاستعانة بالقوات العراقية المسلحة.. وفجاة قدم وزير الخارجية فيضى الاتاسي استقالته واعلن انه يستقيل من منصبه احتجاجا على قبول رئيس الوزراء مبدا الاحلاف وفكرة الدفاع المشترك وعلى ارتمائه (أى رئيس الوزراء) فى أحضان الغرب ... وانقسمت الوزارة على نفسها وتدخل العسكريون فى اللحظة الحاسمة فاستقالت الوزارة وكلف ناظم القدسي بتشكيل وزارة جديدة فطلب لقبوله رئاسة الوزارة أن تنضم الشرطة والجندمة الى وزارة الداخلية ورفض العسكريون طلبه فكلف زكى الخطيب بتشكيل الوزارة فلم يوفق وكلف من بعده معروف الدواليبى فكلف حامد خوجة بتأليف وزارة مؤقتة أن يمنع الجيش من التدخل فى السياسة فرفض العسكريون عرضه وكلف من بعده كثيرون مثل سعيد حيدر وعبد الباقى نظام الدين ولم يوفق أحدهم فى تشكيل الوزارة

وأعيد من جديد تكليف معروف الدواليبى بتشكيل الوزارة فشكلها فى ٢٨ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٥١ وعين وزيرا مدنيا للدفاع ورفض أن تكون وزارة الدفاع فى يد أحد العسكريين وغضب العسكريون وبدأ النزاع والصراع ودخل مرحلة حاسمة فى تاريخ سوريا اذ جمع الشيشكلى ضباطه الى اجتماع عاجل فى ٢٩ تشرين الثانى « نوفمبر » وأمر باعتقال ساسة حزب الشعب وبعض من الساسة المستقلين وحاول رئيس الجمهورية التدخل لايجاد مخرج لهذه الأزمة فطالب بالافراج عن المعتقلين واشترط الشيشكلى أن يحل المجلس النيابى وكان من الطبيعى أن يستقيل معروف الدواليبى فكلف حامد خوجه بتأليف وزارة مؤقتة وفشلت مساعى رئيس الجمهورية وعجز عن حل الأزمة فقدم

استقالته من منصبه واسرع اديب الشيشكلي فاصـــدر أمرا بتعيين الزعيم فوزي سلو رئيســا للدولة والقى بين يديه بزمام السلطتين التشريعية والتنفيذية ...

وأصبحت امور البلاد منذ هذه اللحظة في يد اديب الشيشكلي وبذلك تكون قد انقضت المرحلة الاولى من مراحل حكم الشيشكلي

ويجب أن نوضح في نهاية المرحلة الاولى شيئا هاما وهو ان أديب الشيشكلي حين قام بانقلابه في ١٩ كانون الاول ١٩٤٩ كان متيقظا بعيد النظر فلم يشأ منذ اللحظة الاولى لانقلابه ان يظهـــر على مسرح الحوادث بصورة مفاجئة انما كان يتحـــرك بصـــورة تدريجية ويبدو أنه استفاد فعلا من الانقلابين اللذين سبقا انقلابه وهو لم يشأ أن يقع في ذات الاخطاء التي وقع فيها قائدا الانقلابين فمنذ اللحظة الاولى فكر في حماية نفسه من انقلاب آخر يطيح به وفكر أيضا في ضرورة الحصول على قوة شعبية تسنده وتعـــاونه وتشد من أزره ولهذا اتجه ثلاثة اتجاهات ينفذ بها خطة حمـــاية نفسه .. اتجاه في داخل الجيش اذ تخلص كما أوضحنا من الضباط الذين كانت لهم اتجاهات تخالف آراءه والضـــباط الذين كانوا يميلون الى تنفيذ سياسة حزب الشعب والضباط الذين كانوا على اتصال بالنواب المستقلين الذين كانوا يؤيدون الاتحاد مع العراق.. بكتلة من النواب تكون ناطقة بلسانه منفذة لاغراضه داخل المجلس ... واتجاه ثالث في الاوساط الشعبية اذ بذل جهودا جبارة لايجاد الفرقة بين أفراد الشعب وبين حزب الشعب فكان يصور أعمـــال هذا الحزب على انها اتفاق مع أعداء البلاد ضد مصـــلحة الشعب العليا .

وهكذا ظل اديب الشيشكلي خلال الفترة الاولى من انقلابه في المدة من ١٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٩ الى٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥١ يعمل من وراء ســـتار دون أن يظهر بصـــورة واضحة صريحة على مسرح الحوادث في سوريا .

ثانيا ..

المرحلة الثانية من الانقلاب

٢٩ تشرين الثاني ١٩٥١
٢٦ شباط ١٩٥٤

ان التاريخ يؤكد ان السلطة العليا في سوريا هي دائما سلطة الشعب وان القوة الوحيدة المتحكمة في مستقبل سوريا ومصيرها هي قوة الشعب .

راى اديب الشيشكلى ان فترة الحكم المزدوج كانت فتره حرجة فى تاريخ البلاد وان هذه الفترة قد اضرت بمصلحة البلاد وانها انقضت فى خلاف مستمر بين العسكريين والمدنيين ولهذا قرر فرض مرحلة انتقالية تمهد للحكم النيابى السليم وتؤهل البلاد لمرحلة قد تكون أكثر جدية من المرحلة السابقة وعبر عن قراره هذا فى مناسبات كثيرة فقال فى احدى المناسبات « ان هذا الحدث مجرد تغيير مؤقت أضطررنا اليه لما تقتضيه حالة البلاد من علاج » وقال فى مناسبة أخرى .. « ماالوزارة الحالية الا خطوة عملية لاعادة الحياة النيابية الى الشكل الذى يكفل لهذا الوطن مصلحته العليا » .

ووعد اديب الشيشكلى فى أكثر من مرة باعادة الحياة الدستورية السليمة فى أقرب وقت ممكن كما وعد بأن يجعل فترة الانتقال فترة قصيرة الاجل ما استطاع الى ذلك سبيلا .

وكان أول عمل خلال فترة الانتقال هو حل البرلمان تفاديا لاختلاف وجهات النظر بينه وبين قادة حزب الشعب ثم صدر قرار عسكرى بتولى الزعيم فوزى سلو السلطتين التشريعية والتنفيذية وبممارسته سلطات واختصاصات رئيس الدولةورئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع رتقرر ان يستمر هذا الوضع حتى تعود الحياة النيابية الى البلاد .

وبدأ الشيشكلى فى وضع التشريعات اللازمة والاصلاحات الضرورية التى تضمن قيام برلمان سليم يمثل الشعب تمثيلا صحيحا ..

واصطدمت رغبته فى الاصلاح بعقبات كثيرة كانت أولها الاحزاب ، ورأى الشيشكلى أن التفاهم بينه وبينها صعب وغير قائم وانه يجب أن يخلو له الجو فلا يكون هناك نشاط حزبى خلال فترة الانتقال ولهذا أصدر أمرا بحل الاحزاب والمنظمات السياسية وجمعية الاخوان المسلمين التى اتهمها بأنها تستغل عواطف المواطنين

الدينية لتنفيذ مآرب سياسية وبرر هذا القرار بقوله « ان تأليف الاحزاب كان بشكل فرضته نزعات الحكومات القــائمة وميولهــا الخاصة دون الاخذ بمقتضيات الوطنية القومية » وقال أيضـــا انه حل الاحزاب لان المصلحة الوطنيـــة تقضي فى الظـروف التى تجتازها البلاد جمع الكلمة وتوحيـــد الصفوف وتعزيز الشـــعور الصفوف وتعزيز الشعوربرباط الاخاء والمحبة بين المواطنين وحشد جميع القوى للدفاع عن كيان الوطن .

ورغم وجـــود فوزى سلو على رأس الـدولة فان اديب الشيشكلى كان هو الحاكم الفعلى للبلاد واستهل عهده باصـدار مجموعة من الاوامر والقرارات التى كانت تهدف الى رفع مستوى الموظفين ومن هذه القرارات والاوامر ..

١ ـ الغاء الالقاب ما عدا الالقاب العلمية .

٢ ـ توزيع أراضي الدولة على الفلاحين المعدمين .

٣ ـ اطلاق سراح السياسيين .

٤ ـ اصدار تسعيرة جبرية للمواد الغذائية .

٥ ـ انشاء مكتب القطن .

٦ ـ اصدار التشريعات الخاصة بوقاية الزراعة

٧ ـ اقراض الفلاحين .

٨ ـ تعديل اتفاقية التابلاين تعديلا اكسب البلاد ثروة كبيرة

٩ ـ أسس بنكا للاصدار .

١٠ ـ أشترط فى تشكيل فروع الشركات التجارية الاجنبية فى داخل البلاد أن يكون لها وسطاء سوريين وان يكون لرأس المال السورى دور فى هذه الشركات .

١١ ـ حرم على الاجانب كسب الاملاك العينية .

١٢ ـ ازال جميع عبارات التوددوالعطف والمالأةفىالخطابات الرسمية .

١٣ ـ تحضير العشائر والبدو والمساهمة فى استقرارها فى أراضيها .

وفى مجال السياسة أحس الشيشكلى بوجود فراغ سياسى لم تألفه البلاد وخاصة بعد الغاء الاحزاب ولهذا قرر انشاء هيئة سياسية تتبنى السياسة التى سوف ينتهجها والمبادىء التى يعتنقها وخرج الى الميدان وبدأ فى الاتصال بالجموع الشعبية وألقى سلسلة من الخطب شرح فيها سياسته وأهدافه ثم دعا المواطنين الى الانضمام الى حركة التحرير العربى التى تهدف الى اعادة هيبة الحكم واستئناف الحياة السياسية على أسس عربية وجمهورية صحيحة ووضع حد لبلبلة الافكار وللاضطراب فى صفوف الشعب وتأمين الاخاءبين المواطنين وتحريرهم من الفقر والجهل وبعث كامل القوى وحشدها لاداء واجبات التحرير والسيادة وتكوين المجتمع العربى على أساس العدلالاجتماعى والسير بالسياسة السورية بما تتفق وتحرير الوطن العربى .

وكان واضحا أن هيئة التحرير تؤمن بالقومية العربية وتؤمن بالشعب كمصدر للسلطات وصاحب السيادة والإرادة والكلمة .

وعندما أعلن الشيشكلى قيام هيئة التحرير ثار رجال الاحزاب المنحلة واعتبروا قيامها مقدمة لاخضاع البلاد الىنظام الحزب الواحد أو الحزب الحاكم واتصل رجال الاحزاب وتجمعوا وتم الاتفاق بينهم على أن يقوم بينهم تعاون وثيق لمقاومة هذه الهيئة وللاطاحة بحكم الشيشكلى وتخليص البلاد منه ..

وبدأ رجال الاحزاب عملهم فاندس بعضهم فى صفوف الضباط يوغرون صدورهم على الشيشكلى يتهمونه بالانحراف وبالسعى لاخضاع البلاد الى حكمهالدكتاتورى وسار الشيشكلى فى تنفيذ خطته فاصدر قانونا للانتخاب وأعلن الدستورالجديد فى ١٩٥٣ وكان قد أعده مع بعض من السياسيين الذين تعاونوا معه .. وتضمن هذا الدستور منهاج حركة التحرير كما تضمن

كثيرا من مواد دستور ١٩٥٠ الذى كان قد الغاه .

وكان الجديد فى هذا الدستور هو النظام الرئاسى الذى طبق فى سوريا لاول مرة منذ عهد الاستقلال .

وطرح الدستور الجديد للاستفتاء العام .

وأخذ الشيشكلى يعد العدة لاجراء انتخابات جديدة تمهيدا لعودة الحياة فى سوريا سيرتها الاولى .

وعندما أعلن دستور ١٩٥٣ بدأ رجال الاحزاب يخوضون غمار معركة جديدة ضد الشيشكلى

وفى ايلول « سبتمبر » ١٩٥٣ عقد مؤتمر من رجال الاحزاب فى حمص وحضر المؤتمر مئتان من السياسيين القدماء الذين ينتمون الى الحزب الوطنى وحزب البعث الاشتراكى وحزب الشعب واتخذ المؤتمرون حلب مكانا للمؤتمر لانها تقع فى مكان وسط بالنسبة للدولة ولانها بلد هاشم الاتاسى رئيس الجمهورية الذى استقال من منصبه أثناء أزمة ١٩٥١ .

واصدر المؤتمر قرارات خطيرة طبعت ووزعت من جميع انحاء البلاد جاء فيها :

١ ـ بطلان الحكم الفردى وعدم الاعتراف بها وبكل مايصدر عنه من قوانين وأوامر .

٢ ـ ضرورة اقامة أوضاع دستورية سليمة نتيجة انتخابات حرة .

٣ ـ اطلاق الحريات وضمانها حتى يشعر كل فرد بأنه فى حمى القانون .

٤ ـ اعداد الجيش للدفاع عن الوطن فهو ملك للامة ويجب تقويته .

وكان آخر هذه القرارات قرار خطير هو مقاطعة الانتخابات التى دعا اليها الشيشكلى والتى أعلن انها ستبدأ يوم ٩ تشرين الاول « اكتوبر » ١٩٥٣ فى ظل الدستور الجديد .

وكان لهذا المؤتمر صــدى كبير وخاصــة أن هاشم الاتاسي وسلطان الاطرش أيدا قراراته واقبل المواطنون على تلقف بيان المؤتمر واســـتجابوا لدعوة الاحــزاب لهم بالتمسك بقونهم واستعادة ثقتهم فى أنفسهم ومقاومه الحــكم حتى يقضى على الشيشكلى .

ولم يهتم الشيشــكلى بقــرارات المؤتمر وأمر باجــراء الانتخابات فى موعدها وحصلت هيئة التحرير على الاغلبية فى البولمان وانتخب مأمون الكزبرى رئيسا للمجلس وانتخب اديب الشيشكلى رئيسا للجمهورية .

وفى اللحظة التى أقصى فيها فوزى سلو عن منصبه وتربع فيها الشيشكلى على سدة الرئاسة أحس الضباط الذين شاركوا الانقلاب أن الشيشكلى قد انحرف عن الطــريق وابتعــد عن مخطط الانقلاب ويسير فى ذات الطريق الذى سار فيه من قبل حسنى الزعيم .

كان الشيشكلى لا يحس بالثورة التى فى نفوس الشعب او لعله أحس بها ولم يهتم وانصرف فى مركزه الجديد الى وضع مشروعات الاصلاح وحاول أن يتقرب من المعارضين فاطلق سراح السياسيين المعتقلين كمعروف الدواليبى وسمح بعودة المبعدين من رجال السياسة كأكرم الحورانى وشفيق عفلق وصلاح البيطار وكانوا قد هاجروا الى لبنان ثم الى روما حيث اتفقوا هناك على أن تنضم أحزابهم فى حزب واحد .

ولم يستطع الشيشكلى رغم خطواته الايجابية فى تصــفية الموقف بينه وبين المعارضة وعندما بدا عام ١٩٥٤ أصبح واضحا أن حكم الشيشكلى يتجه الى نهايته فالقوى الشعبية كلها قــد أخذت تتجمع وتحتشد وتكتلت فيما سمى باسم الجبهة الوطنية .. والقوى المسلحة قد بدأت هى الاخرى تسأم عهد الشيشكلى وترى فيه خروجا عن المخطط الذى وضعه العسكريون حــين قاموا بالانقلاب .

واخذت النقمة فى المجالين الشعبى والعسكرى تزيد وتعمق حتى كان يوم ١٢ كانون الثانون « يناير » فقد حدث فى هــذا

اليوم أن ظهرت منشورات سرية فى دمشق وحلب وحمص وحماة تضمنت حملة قاسية على حكم الشيشكلى ودعوة للمواطنين للاستعداد للتخلص منه وانقاذ البلاد من دكتاتوريته ومن نظامه الاستبدادى الذى فرضه عليها فرضا وأعلن الطلبة الاضراب وعمت البلاد الاضطرابات وانضم المحامون الى الطلبة وشملت الاضرابات نواحى البلاد المختلفة .

وبدات المعركة بين قوات الحكومة وبين القوى الشعبية .. بين اديب الشيشكلى وبين الشعب العربى فى سوريا ..

واضطر الشيشكلي الى مواجهةحالة الاضراب والاضطرابات فلجأ الى سياسة الشدة والعنف والقسوة والتهديد .

وفى ٢٥ كانون الثانى « يناير » عقد زعماء الاحزاب مؤتمرا سياسيا واتخذ هذا المؤتمر قرارات خطيرة واتفق على ان يدعم الجيش الحركة الشعبية الموجهة ضد النظام القائم .

وفى ٢٨ كانون الثانى « يناير » اعتقلت السلطات الزعماء الذين حضروا المؤتمر وحددت اقامة هاشم الاتاسى وحدثت اشتباكات مسلحة بين قوى الامن والاهالى فى مناطق مختلفة وخاصة فى جبل الدروز بقيادة منصور الاطرش ابن سلطان باشا الاطرش واستعان الشيشكلى بالقوات المسلحة واستطاع أن يخمد ثورة الدروز بالقوة والعنف ودخل عهد الشيشكلى مرحلة خطيرة فالموقف بالنسبة له أصبح موقف حياة أو موت أما أن ينتصرعلى الحركة الشعبية الوطنية التى يقوم بها الشعب واما ان تسود الارادة الشعبية وهنا يكون الشيشكلى سائرا لا محالة الى مصيره ونهايته .

ورأى الشيشكلى أن يترك جانبا سياسة العنف ويلجأ الى سياسة التقرب فاتصل بناظم القدسي وبآخرين وحاول أن يقرب وجهات النظر ولكن الجميع نصحوه بالتخلى عن الحكم وبالعودة بالجيش الى ثكناته وباجراء انتخابات جديدة لبرلمان جديد وكان كلما تقرب الشيشكلى من السياسيين نفروا هم منه فقد احسوا ان ساعته قد قربت وأن نهاية حكمه قد اصبحت قاب قوسين او ادنى .

واخيرا قرر الشيشكلي ان يتحمل وحده مسئولية الحكم وان يواجه الموقف فاصدر أمرا بتسريح عدد من الضباط الذين لهم صلة بالحركة الشعبية والذين يعدون من ذوى الشخصيات وقرب عددا من الضباط اليه وأغدق عليهم الرتب .. ثم استغل الصحافة والاذاعة فى الدعاية لنفسه ونظم المظاهرات لتأييده وابعد مدير الشرطة الزعيم الحسينى وعينه ملحقا عسكريا فى واشنطن واعتقل عدد كبير من رجال الاحزاب فى سجن المزة وأقام سجنا اخرا فى منطقة مخفر الشيخ حسن أطلق عليه المواطنون اسم الباستيل وبلغ الامر حدا يفوق الوصف واصبحت حالة التوتر سائدة فى جميع انحاء البلاد وبدأت البلاد تئن من حكمه الذى اصبح فى صورة لا تحتمل حتى أن كثيرين من داخل البلاد وخارجها اتصلوا به ليخفف من قبضته ويعتدل فى سياسته ووصلت اليه المذكرات والبرقيات احتجاجا على سياسته من كثيرين مثل ناظم القدسى وحسن الحكيم وفارس الخورى وفخرى البارودى وأصدر هاشم الاتاسى بيانا طالبه فيه باطلاق سراح المعتقلين وبالاعتدال فى سياسته وبالاقلاع عن البطش والعنف وكتب اليه كمال جنبلاط زعيم لبنان يناشده رعاية الشعب العربى فى سوريا .

وفى ٢ شباط « فبراير » بدأت من جديد الاشتباكات .. وكانت فى منطقة السويداء وصلخد عنيفة مسلحة .

واتهم الشيشكلي الملحق العسكرى العراقى بأنه على اتصال بقيادة الثورة الشعبية وطلب سحبه ومغادرته البلاد ..

وقامت ثورات أخرى فى جبل الدروز وخشى الشيشكلى أن ينضم دروز لبنان الى أخوانهم فى سوريا فأمر باغلاق الحدود مع لبنان .

وكلما تقدم شهر شباط « فبراير » أقتربت نهاية الشيشكلى وفى ليلة ٢٤ــ٢٥ جاءت النهاية واصبحت حقيقة واقعة اذ قام الضباط الاحرار فى حلب بقيادة فيصل الاتاسى باعتقال قائد القوى المسلحة واستولوا على محطة الاذاعة الاضافيه فيها وأعلنوا انفصال قيادة حلب عن قيادة دمشق ، وبعد

لحظات انضمت قيادة حمص وحماة ودير الزور واللاذقيةودرعا الى قيادة حلب ، وحملت الاذاعة من حلب الى الشيشكلى فى دمشق انذارا اذاعة مصطفى حمدون بمغادرة البلاد حتى الساعة الخامسة من مساء ٢٥ شباط « فبراير » .

واجتمع الشيشكلى بضباطه ووزرائه وتداولوا فى أمر الانذار ولم يجدوا امامهم من سبيل سوى ان يخضع للارادة الشعبية وأن يتنازل عن رئاسة الجمهورية وأن يقدم استقالته وان يغادر البلاد ..

وفى المساء استقل سيارته واتجه بها الى حدود لبنان ومن هناك طار الى روما وبعث الشيشكلى قبل مفادرته البلاد بخطاب أستقالته الى البرلمان تنازل فيه عن سلطاته قائلا « حقنا لدماء الشعب الذى أفتديه والوطن العربى الذى اردت ان أخدمه بتجرد واخلاص أقدم استقالتى من رئاسة الجمهورية الى الشعب السورى العزيز الذى انتخبنى ومنحنى ثقته الغالية راجيا أن يكون ذلك خدمة لبلادى سائلا الله أن يقيها كل مكروه وان يحقق وحدتها ومنعتها ويأخذ بيدها الى قمة المجد »

واجتمع المجلس النيابى واسندت الى مأمون الكزبرى مهمة الاضطلاع بأعمال رئيس الجمهورية وعين سعيد اسحق رئيسا للمجلس بدلا منه واذاع مأمون الكزبرى بيانا الى المواطنين ناشدهم جميعا مدنيين وعسكرين باسم الوطن والعوبة أن يقدروا دقة الظرف الذى هم فيه .

وفى هذه الاثناء كان قادة الحركة لهم رأى آخر وهو القضاء نهائيا على كل ما يمت الى عهد الشيشكلى بما فى ذلك دستوره وبرلمانه ورجاله ، وأستقر الرأى على أعتبار دستوره وبرلمانه كأنهما لم يكونا واسقطت فترة حكم الشيشكلى من تاريخ سوريا ، واتصل شوكت شقير رئيس الاركان بمأمون الكزبرى وطلب منه حل المجلس ومباشرة السلطتين التنفيذيةوالتشريعية مؤقتا حتى يتم الاتفاق على رأى معين .

ودارت مفاوضات واتصالات انتهت باعلان استقالة مأمون الكزبرى ، وصدر بلاغ من رئاسة الاركان يعلن أن الاوضاع

الشرعية قد عادت الى البلاد ، وأن الاسباب التى حالت دون استمرار الحكم الشرعى ودون قيام هاشم الاتاسى بسلطاته كرئيس للجمهورية قد زالت ، فان الجيش يعود الى ثكناته ويضع نفسه فى خدمة رئيس الجمهورية وحكومته الشرعية الدستورية

وعاد هاشم الاتاسى الى رئاسة الجمهورية

وعاد برلمانه ليستأنف نشاطه وعمله

وعاد الجيش الى ثكناته

وعادت سلطة الامة اليها وسيادة الشعب اليه .

وهكذا يؤكد التاريخ ان السلطة العليا فى سوريا والكلمة المطاعة المسموعة فوق أرضها هى دائما وأبدا سلطة الشعب العربى فى سوريا وكلمته وارادته .

(٤)

انقلاب ايلول ١٩٦١

لقد أكد شعب سوريا بتجارب الايام تجربة بعد تجربة أنه طليعة القومية العربية وأنه رأس الحربة فى اندفاعها وأنه الحارس الامين لتراثها المجيد .

عادت البلاد الى ساستها الشرعيين .

وعاد دستور ١٩٥٠ بنظامه النيابي وعادت الاحزاب السياسية الى مزاولة نشاطها الحزبي ، وبدات مرحلة انتقالية لاستئناف الحياة الدستورية والنيابية وكلف صبرى العسلى بتأليف وزارة تجرى انتخابات عامة ولكنه اضطر الى الاستقالة فى حزيران « يونيه » ١٩٥٤ قبل اجراء الانتخابات فعهد الى سعيد الغزى بتأليف وزارة حيادية قامت باجراء الانتخابات فى ايلول « سبتمبر » ١٩٥٤ وجاءت نتيجة الانتخابات دون أغلبية مطلقة لحزب من الاحزاب وكان واضحا أن المستقلين قد فازوا بأغلبية نسبية « خمسة وخمسون مقعدا » وكان واضحا أيضا أن حزب الشعب كان أكثر الاحزاب مقاعدا فى البرلمان اذ كان له اثنان وثلاثون مقعدا .. وظهر الاشتراكيون فى المجلس الجديد فكان لهم ستة وعشرون مقعدا . ورأى رئيس الجمهورية أن الوزارة الجديدة يجب أن تكون ائتلافية ولكن لوحظ أن تأليف وزارة ائتلافية متحدة فى برامجها وأهدافها أمر ليس باليسير فكلف رئيس الجمهورية فارس الخورى بتأليف الوزارة .

الا أن الوزارة الجديدة فى هذا العهد الدستورى الجديد ووجهت بمشكلة سياسية ذات شأن .. فقد ظهر حلف بغداد وكان هذا الحلف ــ ومازال ــ يخدم غايات استعمارية واستراتيجية ويقوم كحلقة اتصال بين حلف الاطلسى وحلف جنوب شرقى آسيا واشتركت فيه ايران والعراق وتركيا .

وحاولت العراق وتركيا أن تضما الى الحلف الدول العربية وكان الاتجاه أن الاغلبية النسبية التى نالها حزب الشعب الذى عرف بميله الى العراق تتجه الى الدخول فى هذا الحلف الا ان قوة الشعب العربى فى سوريا وهى دائما صاحبة السيادة والتصرف فى سياسة البلاد كانت تكره التعامل مع الغرب لانه سعى الى امتداد حكم الهاشميين الى سوريا ولانه انتزع لواء الاسكندرونة وهو جزء من البلاد السورية وسلمه الى تركيا ولانه يعتبر المسئول الاول عن اقامة اسرائيل فى قلب العالم العربى .

وكانت قوة الشعب العربى فى سوريا من ناحية اخري تعطف على جامعة الدول العربية وتود من كل وجدانها وعواطفها ومشاعرها دعمها وتقويتها وكانت ترى فى الجامعة وسيلة لوحدة العرب وتكاتفهم وقوتهم .

وحدث فى هذه الاثناء أن مر عدنان مندريس بدمشق فثار الشعب خلال الساعات القليلة التى قضاها عدنان فى مطاردمشق دون أن يغادره وقام الشعب بالمظاهرات التى تعبر عن عواطفه ومشاعره ناحية الاتراك والدولة التركية .

وكان لابد لفارس الخورى من أن يحدد موقفا صريحا لحكومته بالنسبة لحلف بغداد ولكنه كان مترددا ووقف موقفا غير محدد مما أدى الى اشتداد المعارضة ضده لتمسك الاغلبية بسياسة الحياد .. ونزل فارس الخورى على رأى الغالبية واستقال فى ١٣ شباط « فبراير » ١٩٥٥ .

وتولى الوزارة من بعده صبرى العسلى فأعلن ان سياسة بلاده تقوم أصلا واساسا على الميثاق العربى فى الدفاع والتعاون الاقتصادى وأكد ان حكومته لا تميل الى الاشتراك فى الاحلاف ولا تؤيد الانضمام الى حلف بغداد .

وشهدت وزارة العسلى انتخاب شكرى القوتلى رئيسا للجمهورية فى آب « أغسطس » ١٩٥٥ واستهل القوتلى عمله بالدعوة الى تكوين اتحاد قومى لمواجهة الظروف الطارئة الناجمة عن ظهور مشروع تمبلر الذى أريد به ما أريد بحلف بغداد ، ووجه شكرى القوتلى رسالة الى مجلس النواب قائلا : « أننى أدعو الى وحدة الصف والعمل القومى والتهادن الحزبى لكى يكون بامكاننا أن نضطلع بمسئولياتنا .. »

واستجابت الاحزاب لدعوته وأعلن الميثاق القومى الذى قام على اساسين هامين جديرين بالتسجيل .

الاساس الاول :

مقاومة الاستعمار والصهيونية واسرائيل وعدم الاعتراف باغتصاب فلسطين وذلك برفض فكرة الصلح مع اسرائيل وبمقاومة

مشاريعها التوسعية وباحكام مقاطعتها وبمناهضة الاحلاف العسكرية الاجنبية وبانتهاج سياسة الحياد الايجابى ودعم مقررات باندونج .

الاساس الثانى :

توسيع الاتفاق الثنائى مع مصر بعقد اتفاق بين الطرفين يشتمل على الشئون الاقتصادية والسياسية والثقافية على ان يكون هذا الاتفاق نواة للوحدة العربية الشاملة .

ولاحظ المراقبون السياسيون ان هناك تقاربا كبيرا بين مصر وسوريا .. أعنى بين الشعب العربى فى مصر والشعب العربى فى سوريا .. وكان هذا التقارب يقوم على عدة عوامل هى :

١ ـ الشعور بعاطفة عدم الاطمئنان التى كانت تتملك سوريا من جيرانها خوفا على استقلالها الجديد ولهذا كانت سوريا كلما الم بها خطب او داهمها خطر تتجه بقلوبها ومشاعرها وعواطفها الى مصر حيث تلقى الامان والاطمئنان .. ولعل هذا الشعور بعدم الاطمئنان كان مبعثه مجموعة الاخطار التى كانت تحيط بسوريا فهناك الخطر الهاشمى والخطر الاسرائيلى الجاثم على الحدود والخطر التركى الذى تستغله الولايات المتحدة الامريكية للضغط على سوريا « كما حدث فى الحشود التركية الكبيرة على حدود سوريا فى عام ١٩٥٧ » .

٢ ـ الصداقة الودية بين حكام مصر وبين شكرى القوتلى الذى عاش فى مصر فترة من حياته فوجد فيها القلوب العطوفة التى تبادل الشعب السورى حبا بحب واخلاصا باخلاص .

٣ ـ السياسة التحررية التى دعت اليها مصر والتى ترفض الارتباط بالاحلاف والتى تقوم على اساس الحياد الايجابى وعدم الانحياز .

٤ ـ السياسة القومية التى تعمل بوحيها الحكومات السورية التى تتفق وتلتقى مع وجهات النظر العربية وخاصة فيما يتعلق

باسترجاع لواء الاسكندرونة وفلسطين ..
قلنا ان سوريا رفضت الانضمام الى حلف بغداد ورسمت لنفسها فى المحيط العالمى سياسة الحيد وعدم الانحياز وأدت هذه السياسة الى نتائج هامة هى :

النتيجة الاولى .. نفور الدول الغربية وسخطها على هذه السياسة وتجلى ذلك فى وسائل الضغط المختلفة على سوريا كالضغط الاقتصادى والضغط السياسى .. وقد استطاعت سوريا أن تواجه الحصار الاقتصادى الذى فرضه الغرب واتجهت الى الكتلة الشرقية التى قدمت عروضا للمعاونة دون التقيد بشروط أو قيود .. أما الضغط السياسى فقد تجلى فى المؤامرات التى حيكت فى سوريا للاطاحة برجال الحكم وتولى رجال آخرين يضمونها الى الاحلاف الدفاعية الغربيةواشتد الضغط علىسوريا حين ظهر مشروع ايزنهاور لملء الفراغ الذى ادعاه الرئيسالامريكى فى الشرق الاوسط فقد رفضت سوريا هذا المشروع وتعرضت لازمات متكررة ومؤامرات متلاحقة واخذت الدول الغربية وفى مقدمتها الولايات المتحدة توجه الى سوريا التهديدات والانذارات فى صور مختلفة كانت أوضحها الحشود العسكرية على حدودها

النتيجة الثانية .. نفور بعض الدول العربية من سوريا

فالعراق كان غاضبا لرفض سوريا حلف بغداد وبلغ بهالغضب حدا جعله يسهم فى المؤامرات التى حيكت ضد سوريا

والاردن كان يسير مع الركب العربى وتخلص من المساهدة الانجليزية واقال جلوب من منصبه واتبع سياسة حيادية تحررية .. وفجأة تطور الامر فيه وانقلب على السياسة العربية اذ قبل الملك حسين المعونة الامريكية وابتعد عن سياسة الحياد .. واتهم الاردن بان له يدا فى المؤامرات ضد سوريا

وحكومة لبنان أيضا كانت مرتمية فى احضان الغرب ولهذا كانت نافرة من سوريا غاضبة على ساستها وكانت تأمل ان تتغيرالوجوه الحاكمة فى سوريا لتتغير بذلك سياستها وتسير مع الغرب وتقبل مثله مشروع ايزنهاور والمعاونات الامريكية .. وقيل ان لبنان كان

ضرفا فى المؤامرات التى حيكت فى هذه الفترة ضد سوريا .

النتيجة الثالثة .. حدث تقارب كبير بين سوريا ومصر وأدى هذا التقارب الى اجتماع عقد فى القاهرة فى أوائل ازار (مارس) ١٩٥٦ كان طرفاه جمال عبد الناصر وشكرى القوتلى .. واتفق العاهلان الكبيران على سياسة واحدة تتبعها الدولتان وتقوم هذه السياسة على الاسس التالية :

١ ـ تجنب الامة العربية نتائج الحرب الباردة .
٢ ـ الدفاع عن العالم العربى ينبع من داخل الامة العربية
٣ ـ بقاء الامة العربية بعيدة عن المواثيق الخارجية
٤ ـ حق عرب فلسطين فى العودة الى بلادهم

ومن أهم ما أدت اليه هذه النتائج عقد اتفاق عسكرى بين سوريا ومصر تعهدت فيه الدولتان بتبادل المعونة العسكرية فى حالة العدوان وباعتبار كل اعتداء مسلح يقع على احداها موجها ضدهما معا وباستخدام غاية ما تملك كل منهما ـ بما فى ذلك استعمال القوة المسلحة ـ لصد العدوان الذى يقع على احداها

ولقد دخل هذا الاتفاق العسكرى فى طور التنفيذ فعلاوتبادلت مصر وسوريا المواقف البطولية .. فسوريا وقفت موقفا رائعا بجانب مصر حين تعرضت للعدوان الثلاثى الغاشم فى ١٩٥٦ ووقف الشعب العربى فى سوريا وقفة تاريخية جبارة الى جانب مصر ففجر أنابيب البترول التى تمر بأرضه وألزم حكومته بقطع علاقاتها مع الدول المعتدية وارتفع صوت الشعب يخاطب الامم المتحدة ان تأمر بطرد المعتدين واستعد الجيش السورى الباسل ليخوض المعركة مع الجيش المصرى وتطوع الكثيرون وقدم الشعب العربى فى سوريا لمصر الهدايا والتبرعات التى تعينها فى محنتها

ولعل العالم لا ينسى لمصر أبدا وقفتها التاريخية المجيدة الى جانب شقيقتها سوريا خلال المحنة التى تعرضت لها فى عام ١٩٥٧ حين حشدت تركيا قواتها المسلحة على حدود سوريا .. فقد فوجىء العالم كله بالقوات المصرية المسلحة تهبط فى ميناء اللاذقية وتسرع الى الحدود السورية التركية لتقف بجانب جيش سوريا

لمواجهة الاخطار معه ولتقاسمه شرف الدفاع عن ارض سوريا ولقد صور رئيس اركان الجيش السورى فى ذلك الوقت وقفة الجيش المصرى بجانب الجيش السورى فى قوله « ان هذا اليوم يشبه ماقبل اليرموك حين اتحدت الجيوش العربية بقيادة بطل واحد » وأذاعت الاذاعة السورية فى حديثلها ان الجيش المصرى قد نزل بأرض سوريا ليقول للعالم أجمع أن مصير سوريا ومصر مصير واحد وان أى عدوان على احدى الشقيقتين عدوان على الشقيقةالاخرى » واوضح الرئيس جمال عبد الناصرموقف مصر فى هذه الآونة فقال « ان موقف مصر واضح لا يحتاج الى تحديد جديد الا اننى أريد ان اعود فأؤكد ان مصر ستقف بجانب سوريا الى غير حد وبدون قيد أو شرط ومهما تكن تطورات الضغط على سوريا فان شيئا واحدا لايجب أن يغيب عن الاذهان ذلك أن جميع امكانيات مصر تسند سوريا فى معركتها .. »

ولقد ادى التقارب فى الشعور والعاطفة والمصلحة السياسة الداخلية والخارجية الى التفكير فى قيام اتحاد بين مصر وسوريا وفى ٥ تموز (يوليو) ١٩٥٧ أعرب مجلس النواب السورى عن رغبته فى الاتحاد مع مصر وقابل مجلس الامة المصرى هذه الرغبة بمثلها ورحب الشعبان فى سوريا ومصر بهذه الرغبة التى تعتبر خطوة ايجابية نحو الوحدة العربية الشاملة .. وطغى حماس الوحدة على مشاعر المسئولين فى سوريا ومصر فاتفقوا على أن تكون بين البلدين وحدة لا اتحاد ففى ليلة ١٣ ـ ١٤ كانون الثانى (يناير) ١٩٥٨ وصل الى القاهرة أثنان وعشرون ضابطا سوريا وطلبوا مقابلة الرئيس عبد الناصر والتقوا بسيادته فى مساء ١٥ كانون الثانى (يناير) واوضحوا لسيادته مهمتهم فى قول صريح واضح « ان الشعب فى سوريا يطلب الوحدة فهى مطلبه الدائم .. والوحدة مع مصر بالذات هى التيار الكاسح فى سوريا كلها . . » ودار حديث طويل استغرق الليلة باجمعها هم يصرون على تحقيق الوحدة والرئيس يضع لهم النقط فوق الحروف ويبين لهم الاسس السليمة الصحيحة التى يجب أن تقوم عليها الوحدة .

وفى ١٧ كانون الثانى (يناير) انضم الى الضباط صلاح البيطار وزير خارجية سوريا الذى تحدث الى الرئيس عبد الناصر

باسم الحكومة « ان الحكومة ترحب باتمام الوحـدة بين مصر وسوريا كمطلب شعبى وكطريق لاستقرار سوريا » ... ثم جاء ساسة سوريا وفى طليعتهم شكرى القوتلى يؤيدون قيام الوحدة ويعلنون للرئيس أن قيامها هو الطريق الوحيد لخلاص سوريا من الاخطار والمشاكل التى تتهددها .. واستجاب الرئيس عبدالناصر لدعوتهم وقبل قيام الوحدة بين البلدين وكان لهـذا التطـور فى العلاقة بين البلدين عوامل واسباب هى :

١ ـ سوريا منذ فجر التاريخ تؤمن بالوحدة العربية

٢ ـ اتفاق سوريا ومصر فى سياسة عربية تحررية سليمة بعيدة عن الانحياز أو الارتباط برباط دولى

٣ ـ النظام الجمهورى السائد فى البلدين وتقـارب وجهـات النظر بين رجال البلدين .

٤ ـ شخصية الرئيس جمال عبد الناصر واثرها فى تمسـك الشعب العربى به كزعيم متحرر يهدف الى رفعة العرب واحياء مجدهم

٥ ـ التضامن العربى أثناء العدوان على مصر واثناء الحشود التركية على سوريا

٦ ـ المشـاعر والعواطف المصرية التى احس بهـا الشـعب السورى خلال الازمات الكثيرة التى مرت به

٧ ـ خطر اسرائيل الجاثم على الحدود

٨ ـ التناحر الحزبى فى سوريا أدى الى تدخل العسكريين فى السياسة

٩ ـ المؤامرات التى كانت تدبر فى الخفاء لعزل سوريا عن مصر وسارت المباحثات والمفاوضات من أجل تحقيق الوحدة فى سرعة واستطاعت القلوب المؤمنة المخلصـة أن تنتهى من مباحثاتهـا ومفاوضاتها فى مدة قصيرة

وفى ٢١ شباط (فبراير) ١٩٥٨ أجرى استفتاء على وحدة البلدين وشخص الرئيس جمال عبد الناصر المرشح لرئاسـة الجمهورية الجديدة ووافقت الجماهير العربية فى سوريا وفى مصر بالاجماع وقامت الجمهورية العربية المتحدة واعتبر يوم ٢٢ شباط

(فبراير) عيدا قوميا ودخلت مصر وسوريا فى عهد جديد فى ظل دولة جديدة هدفها السلام وغايتها المحبه والوئام تسعى الى خير البشرية والانسانية تحمى ولا تهدد ، تصون ولا تبدد ، تقوى ولا تضعف ، توحد ولا تفرق ، تسالم ولا تفرط ، تشد أزر الصديق ، ترد كيد العدو ، لا تتحزب ولا تتعصب ، لاتنحرف ولا تنحاز ، تؤكد العدل تدعم السلام ، توفر الرخاء لها ولمن حولها للبشر جميعا بقدر ماتتحمل وتطيق .

وبدأت الجمهورية العربية المتحدة تشق طريقها

رسمت لنفسها سياسة داخلية واضحة المعالم تهدف الى اقامة مجتمع تعاونى ديمقراطى اشتراكى والى تحقيق عدالة اجتماعية تقوم على أساس ازالة الفروق بين الطبقات والقضاء على احتكار رأس المال وسيطرة الاقطاع

وبذلت جهود موفقة من أجل تحرير الاقتصاد فى الدولة من اية سيطرة فصدر قانون الاصلاح الزراعى وقانون تأميم البنوك والشركات وقانون الضريبة التصاعدية كما ظهرت الى الوجود مشروعات المجلس الدائم للخدمات العامة وقامت المؤسسة الاقتصادية لتشرف وتوجه قطاع الشركات الوجهة القومية السليمة المنتجة

واتجهت الدولةالى زيادة الرقعة الزراعية فى مصر وفى سوريا فوضعت موضع التنفيذ مشروع السد العالى ومشروع الغاب

واعتنت الحكومة بتطوير العلم وبالخدمات التربوية والوسائل التعليمية

ونظمت الحكومة التطور الصناعى وطرق التمويل واهتمت بالعمال والصناعات الريفية والبيئية وواجهت الحكومة اهتمامها كل الاهتمام الى الشباب فرسمت له طريق المستقبل ومهدت له هذا الطريق ودفعته اليه فى رفق وعطف وامل

ولقد أدت هذه السياسة القومية الداخلية الى تقدم ملحوظ فى جميع ميادين العمل والنشاط فى سوريا فقد زاد الدخل القومى فى سوريا زيادة تفوق حد الوصف حتى ان الاوساط المالية التى كانت تتطلع الى تجربة الوحدة ذهلت حين ادركت هذه الزيادة الضخمة فى ميزانية الاقليم السورى .. لقد زاد

الدخل القومى فى القطاع الصناعى حتى عام ١٩٦١ ٢ر٣٧ مليون ليرة . وكانت السياسة المرسومة أن تصل هذه الزيادة فى خلال عشرة اعوام من قيام الوحدة أى فى عام ١٩٦٧ ٨ر٢١٢ مليون ليرة وكان من المتوقع أن يصل الدخل القومى بعد عشرة أعوام الى زيادة تقدر فى القطاع التجارى بـ ١ر٠٠٢ مليون ليرة وفى القطاع الزراعى بـ ٦٨٠ مليون ليرة

.. المهم هو ان السياسة الداخلية فى الجمهورية العربية المتحدة كانت تهدف الى تحقيق مجتمع يتساوى فيه الناس جميعا يقوم على العدالة والحرية والاخاء والمساواة .

وسارت الدولة الجديدة فى سياستها الخارجية على ذات الاسس التى كانت سوريا ومصر قد ارتبطتا بها .. هذه الاسس التى كانت من العوامل الهامة فى ظهور فكرة التقارب السورى المصرى .. هذه الاسس يمكن تلخيصها فى :

١ ـ سياسة عربية تحررية تهدف الى تحرر البلاد العربية والنهوض بها
٢ ـ ضرورة استعادة فلسطين وعودة العرب اللاجئين
٣ ـ الحياد الايجابى وعدم الانحياز
٤ ـ عدم قبول مساعدات ذات شروط
٥ ـ عدم الارتباط بأحلاف
٦ ـ مقاومة الاستعمار فى الوطن العربى
٧ ـ معاونة البلاد العربية على التحرر والسيادة
٨ ـ التمسك بقرارات مؤتمر باندونج وبريونى والدارالبيضاء

فى ظل هذه السياسة الواضحة المعالم فى الداخل والخارج سارت الجمهورية العربية فى طريقها تنشد رفاهية أبنائها ورفعة العرب وسلام العالم كله .

الا أن قيام الجمهورية العربية قوبل بتيارين عنيفين .. تيار فى المحيط العربى وتيار آخر فى المحيط العربى

ففى المحيط العربى أحس الملوك ورؤساء الدول الذين تقوم عروشهم ورئاساتهم على سواعد غير سواعد شعوبهم بأن قيام الجمهورية بناء على الموافقة الشعبية فى مصر وسوريا خطر شديد

عليهم لانهم يحكمون بلادهم دون تأييد شعبى ودون رغبة مواطنيهم مستندين فى حكمهم على القوة الاستعمارية التى تقف وراء ظهورهم وتسندهم .

ثم كيف يرضى هؤلاء باتحاد سوريا مع مصر وهى التى رفضت فى الماضى مشروع الهلال الخصيب ومشروع سوريا الكبرى ووقفت فى وجه المشروعين تقاوم تنفيذهما حتى انها لجأت الى القوة العسكرية لتمنع قيام أى من المشروعين

ونسى هؤلاء الملوك والحكام انهم ابتعدوا عن شعوبهم فأوجدوا هوة سحيقة بينهم وبين الشعب .. ونسوا انهم يعتمدون على طرق غير مشروعة فى حكمهم لشعوبهم وانهم لايستندون الى قوة شعبية ..

وهالت هؤلاء الملوك والحكام المكاسب الكبيرة الضخمة التى نالها شعب الجمهورية فى مصر وسوريا وراوا ان هذه المكاسب تمثل خطرا على شعوبهم المحرومة من حق الحياة الكريمة وخشوا ان يتجه تفكير شعوبهم الى الحصول على مثل هذه المكاسب وادركوا أن المستقبل للشعوب وان الحاكم المستبد الظالم الذى لا يرعى شعبه ولا يعتمد عليه ولا يتجه اليه سيتحدد مصيره عند ما تتحرك الشعوب لتطالب بحقوقها وبمساواتها فى الحياة والحقوق والحرية بالشعب العربى فى سوريا ومصر .

من هنا بدأ الحكام والملوك يناصبون الجمهورية العربية العداء وكان همهم الاكبر هو اضعاف الرابطة بين سوريا ومصر وفصم العلاقة بين الشعب العربى فى سوريا والشعب العربى فى مصر وبذر بذور الفتنة بين حكام الجمهورية وشعبها .

وبدأت المؤامرات ..

أقاموا اتحادا هاشميا بين الاردن والعراق فاطاحت به ثورة العراق .

بذلوا الاموال من أجل الاغتيال فدخلت الاموال خزينة الجمهورية العربية .

أرادوا شراء الرجال فهالهم صدق الرجال وتمسكهم بجمهوريتهم

أطلقوا الاشاعات فارتدت اليهم واصابت سمعتهم .

قدموا الرشوة فانكشف أمرهم ونبذتهم شعوبهم .

مدوا أيديهم الى الغرب وتحالفوا معه فلم يصيبوا مغنما

اعيتهم الحيل وضاعت منهم الفرص وفشلت جهودهم وتخبطوا وتعثروا فزاد حنقهم والجمهورية العربية تسير فى طريقها نحو غايتها لم تحس بأعمال الصغار ولم تشعر بنباح الكلاب .

ولم يبق أمام هؤلاء الا الباب الخلفى .. لجأوا اليه وبذلوا الوعود ودفعوا الاموال وانهارت أمام اغراءاتهم بعضا من النفوس الضعيفة التى اغراها الوعد وأذلها المال فضعفت وقبلت أن تضع يدها فى أيدى أعداء العروبة والقومية ونسيت وهى تعقد الاتفاق مسئولية الجيل تجاه الشعوب العربية وأهمية التاريخ الحديث الذى تسجله الجمهورية فى حياة العرب والعروبة .

أما من المحيط الغربى فقد أحس الغرب أن قيام الجمهورية العربية يمثل خطرا على مصالحه فى المنطقة العربية لانها تقوم على أنقاضه .. الغرب لم ينس أبدا ولن ينسى لمصر ولسوريا وقوفهما فى الماضى ضد كل مشروع غربى .. وقفتا ضد حلف بغداد .. قاومتا مشروع ايزنهاور .. واجهتا معا العدوان على مصر وحشود تركيا على حدود سوريا .. اتجهتا الى الكتلة الشرقية حين تعرضتا للضغط الاقتصادى الذى فرضه الغرب عليهما .. تزعمتا فكرة القومية العربية وسياسة الحياد وعدم الانحياز وعدم الارتباط بأحلاف .. هذه المواقف المشرفة من وجهة نظرنا جعلت الغرب يتطلع الى الجمهورية العربية بحقد وغيظ وضيق وتجمعت كل قواه لتتعاون على القضاء على الجمهورية الفتية .

والتقى الغرب مع عملائه من حكام وملوك المنطقة العربية وبدأ الاعداد لاقذر مؤامرة فى التاريخ الحديث .

واستيقظ الشعب العربى فى سوريا يوم ٢٨ ايول «سبتمبر» ١٩٦١ فاذا باذاعته تنقل اليه البيان رقم ١ .. وكانت مفاجأة .. البيان رقم ١ يعود ثانية الى سوريا بشروره وآثامه وفجور حكامه .. البيان رقم ١ يعود ثانية الى أسماعهم يحمل اليهم نبأ انفصال سوريا عن مصر .. انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة لتعود دولة غير مستقرة تتنازعها التيارات والمطامع والاهواء .

وقام الشعب العربى فى سوريا ليثور على الاوضاع الجديدة فهو قد عرف طريقه .. عرفه منذ قام بنضاله التاريخى ضد العثمانيين وبكفاحه الرائع ضد الانتداب الفرنسى وبانتفاضاته الوطنية ضد المنحرفين من قادته وبوثباته الجريئة على كل مشروع أو فكرة تمس سيادته .

وخرج الشعب يواجه الدبابات والمصفحات التى كانت قد احتلت كل شبر فى ارض سوريا لتفرض بالنار والحديد عهدا جميل أن تفرز أنيابها فى جسد الوحدة العربية وأن تفرغ فيه يرفضه الشعب ويقاومه .. خرج الشعب ليدافع عن قوميته ويفتدى جمهوريته .. وبدأ الصراع .. ودوى الرصاص فى كل أرجاء سوريا بينما الشعب الاعزل يملأ الارجاء كلها بحياة الجمهورية والوحدة العربية ورائد القومية وقائد العرب جمال عبد الناصر .

لقد خرجت الافاعى فى ظلام ليلة ٢٨ ايلول « سبتمبر » واستطاعت فى الظلام ودمشق هادئة فى نومها وادعة تحلم بصباح جميل أن تفرز أنيابها فى جسد الوحدة العربية وأن تفرغ فيه ما استطاعت من سموم .. وعندما بزغ نور الصباح كانت الافاعى قد طوقت الفريسة ..

وعجب العالم لموقف ملك الاردن فقد أسرع الى الاذاعة الاردنية والقى بيانا أعلن فيه تأييده للحركة الانفصالية تأييدا مطلقا بعيد المدى وأعلن أيضا أن قواته المسلحة على أتم الاستعداد لمعاونة الانفصاليين معاونة فعالة لا حدود لها .. ورقص الملك الصغير رقصة الفرح وهلل للانفصاليين وكبر وشاركه فرحته ملك العربية السعودية فقد كان هو الاخر شريكا فى المؤامرة الدنسة وكان فى انتظار الاخبار قلقا خائفا ان تفشل الحركة الرجعية فيسوء موقفه وتنكشف حقيقة الدور القذر الذى قام به .

وبعثت الشعوب العربية فى الوطن العربى الكبير الى الشعب العربى فى مصر بعواطفها ومشاعرها وتمنياتها فى هذه اللحظات الحاسمة من تاريخ الجمهورية وارسل الملوك والرؤساء الى الرئيس جمال عبد الناصر داعين له بالتوفيق فى اجتياز هذه الازمة راغبين فى أن تغلب الحكمة فى معالجة الامور آملين أن تنتهى الحركة الرجعية بعودة الاقليم الشمالى الى حظيرة الجمهورية.

وكانت ايران وتركيا أول دولتين اعترفتا بالوضع الانفصالي الجديد فى سوريا وهذا أمر لم يكن مستغربا أو جديدا بالنسبة لدولتين ترتميان فى أحضان الاستعمار وتستمدان وجودهما منه .

أما دول الغرب فقد سعدت بالانقلاب لانهارات فيه فرصة لاضعاف الجمهورية ولمحاربة القومية العربية ولاستعادة نفوذها فى المنطقة .

وتطلع العالم الى القاهرة .. الى جمال عبد الناصر على وجه التحديد ينتظرون الخطوة التالية ... وجاءهم صوت جمال عبد الناصر ليقول أنه يؤمن بارادة الشعوب ولا يؤمن بقوة تفرض على الشعوب وأنه لن يقف فى سبيل سوريا بل سيرقبه الاحداث فيها من بعيد .

ونقلت اذاعات العالم الى شعوبها صوت جمال عبد الناصر وهو يقول فى ايمان راسخ عميق « اننى أشعر فى هذه اللحظات أنه ليس من المحتم أن تبقى سوريا قطعة من الجمهورية العربية المتحدة ولكن من المحتم أن تبقى سوريا .. اننى أشعر أن الذى يشغل بالى ليس هو أن أكون رئيسا للشعب العربى فى سوريا ولكن الذى يشغل بالى هو أن يكون الشعب العربى فى سوريا وأن يصان له وجوده . »

عادت اذن الرجعية الى سوريا .. وبعودتها تولى مأمون الكزبرى رئاسة الحكومة ثم استقال ليؤلف عزت النص الوزارة وليجرى الانتخابات .. واجتمع المجلس النيابى الجديد واختار ناظم القدسى رئيسا للجمهورية ومعروف الدواليبى رئيساللوزارة ومأمون الكزبرى رئيسا للمجلس النيابى ..

تولت الرجعية الحكم فى سوريا وأخذت منذ الساعات الاولى تعمل على اعادة عقارب الساعة الى الوراء .. الى ما قبل الوحدة مع مصر .. ألغت القوانين الاشتراكية .. الغت قانون الاصلاح الزراعى .. الغتة قرارات التأميم .. أعادت البنوك والشركات والارض التى أصبحت فى عهد الوحدة ملكا للشعب اعادتها ملكا للافراد .. لافراد قلائل يتحكمون فى مصير شعب بأسره

وسوريا فى وضعها الجديد الحالى تسير فى طريقها ولا أحد يدرى الى اين المصير .. لا أحد يدرى هل استقرت الامور فى سوريا أم أن الشعب مازال قلقا على مصيره قلقا على مكاسبه التى نالها فى عهد الوحدة وسيفقدها فى عهد الانفصاليين .. أن الشعب فى سوريا احس بالاستقرار وبالكرامه خلال الفترة التى عاشها فى ظل الوحدة .. وأحس بدوره الكبير الذى القته عليه المقادير من اجل مستقبل العرب والعروبة .. واحس بالفارق الكبير بين حياته خلال فترة الوحدة وحياته قبلها منذ تخلص من الحكم العثمانى والحكم الفرنسى .. أن الشعب العربى فى سوريا الذى أحس بهذا كله سيظل يعيش بهذه الاحاسيس حياته كلها.

أننا نؤمن بشىء واحد هو أن الشعب العربى فى سوريا كان دائما صاحب الكلمة فى مصيره ... وفى شئونه ... وفى حياته ..

ونؤمن بأن الشعب العربى فى سوريا شعب له من الكفاح والنضال تاريخ مجيد ... ونؤمن بأن الشعب العربى فى سوريا يحس بواجبه حيال وحدة العرب واتحادهم ... ونحن اخيرا نؤمن ايمانا راسخا بأنه لن تكون فى سوريا بعد اليوم سيادة للحديد والنار والسجن والارهاب والتعذيب والتهديد وانما ستكون سوريا كما يريدها أهلها وأبناؤها وابطالها الامجاد مؤمنة بقوتها وبدورها وبمجدها .

وستظل الارادة فى سوريا للشعب العربى الذى يؤمن بسيادته .. وبارادته .. بمشيئته ..

وأعان الله سوريا الحبيبة على أمورها وسدد خطاها وبارك شعبها ...

واخيرا ..

على الدرب ...

ان الشعب العربى فى سوريا شعب حر ابى له اهدافه وآماله وهو يضع كما عودنا امنية غالية نصب عينيه هى الوحدة العربية

فى اللحظات التى كان الكتاب يعد فيها للانتقال من المطبعةالى ايدى القراء جاءت الانباء بأن القوات المسلحة فى سوريا قد أستولت على مقاليد الامور وأن رئيس الجمهوريه ورئيس الوزراء والوزراء قد استقالوا وأن المجلس التشريعى قد انتهى أمره واصبح فى خبر كان .

ولم يكن خبر هذه الخطوة جديدا بل كان متوقعا ومازال الشعب العربى الذى يؤمن بالوحدة العربية الشاملة وبالاهداف الكبرى لامة العرب وبالقيادات الصالحة التى تسعى الى تحقيق الكرامة العربية - ينتظر خطوات أخرى اكثر ايجابية من تلك الخطوة التى تمت فى سوريا فى الثامن والعشرين من آزار «مارس» ١٩٦٢ ولم ينقض على الحركة الانفصالية هناك سوى شهور قليلة .

ولا شك فى أن هذه الحركة التى أقدم عليها الجيش تؤكد ماقاله الرئيس جمال عبد الناصر فى صراحة ووضوح من ان سوريا فى عهد الوحدة قد كسبت كثيرا وأن الشعب العربى هناك شعب يقظ يعرف صالحه وأنه لن يسمح بضياع هذه المكاسب ابداوانه سيكون بالمرصاد يهدم بمعول وطنيته وعروبته وادراكه كل من تحدثه نفسه بالقضاء على هذه المكاسب .. فالشعب .. العمال .. الفلاحون .. الموظفون .. الجنود والضباط .. هؤلاءجميعا قد أعادت اليهم الوحدة حقوقهم المشروعة واكسبتهم المصالح والمنافع والحياةالكريمة والحرية .. هؤلاء كانوا اول جبهةوجهت اليها معاول الهدم عندما قامت الرجعية الانفصالية فى بلدهم فسلبتهم حقوقهم وحرمتهم حياتهم واخذت منهم أرضهم .. وعلى انقاض هؤلاء أراد الرجعيون الانفصاليون ان يقيموا حياتهم الجديدة التى تتسم بالظلم والطغيان والتعسف والارهاب واهدار الحقوق وضياع الكرامة وسلب المكاسب .

أن المعلقين السياسيين يرجعون قيام انقلاب آزار العسكرى الى:

أولا : الخطاب السياسى العظيم الذى القاه الرئيس جمال عبد الناصر والى حوادث الرشوة والذى اوضح فيه المال المقبوض من الخارج لتحقيق أغراض تتعارض مع رغبات وحرية الشعب العربى فى سوريا والذى أزاح فيه الستار عن دور الخيانة الذى قامت به العناصر التى كانت تحكم سوريا منذ قيام الحركة الانفصالية .

ثانيا : سياسة الارهاب وكبت الحريات .

ثالثا : السياسة الخارجية التى تردت فيها الحركة الانفصالية الرجعية .

رابعا : الانهيار الاقتصادى والتجارى فى داخل سوريا .

خامسا : عدم سلامة الاوضاع القائمة ومحاولة ممثلى الراسمالية السيطرة على مقاليد الحكم وسلب الشعب حقوقه .

سادسا : الغاء القوانين الاشتراكية وقانون الاصلاح الزراعى وأجاء تنفيذ قانون التأمينات الاجتماعية والغاء الحراسة على أموال الرعايا الفرنسيين والانجليز والبلجيكيين والغاء الرقابة على النقد الاجنبى .

سابعا : الاعتداء على النواب الشرفاء فى المجلس التأسيسى يوم واجهوا الحكام الرجعيين بخيانتهم ويوم واجهوا الحكام الرجعيين بخياناتهم ويوم دافعوا عن القومية العربية وعن الجمهورية العربية المتحدة واصدار القوانين التى تسلط على الاعناق كالسيوف تمنع الفرد من ابداء رايه فى حرية وأمان .

ثامنا : اعلان النية فى اعادة النظر فى الاحكام التى تناولت قضية مؤامرة ١٩٥٦ .

وفى خلال الشهور الستة الماضية التى سيطر فيها الرجعيون الانفصاليون على مقاليد الامور فى سوريا حدث ما أشار اليه بيان القيادة العامة للجيش وللقوى المسلحة الذى صدر فى ساعة مبكرة من صباح ٢٨ آذار « مارس » فقد جاء فى هذا البيان أن الرجعيين ارتكبوا فى حق بلادهم العربية وشعبهم العربى ..

أولا : سيطرة العناصر الرجعية والاستعمارية على سلطتى الدولة التشريعية والتنفيذية وتوجيهها اتجاها يعارض رغبات الشعب .

ثانيا : ابعاد سوريا عن الحقل العربى وعن مدار القومية العربية

ثالثا : تسريح العمال بالجملة وطرد الفلاحين من قراهم وانتزاع أراضيهم .

رابعا : خنق الحريات وعدم تحقيق الاستقرار والامن فى الداخل .

خامسا : فساد الناحية الاقتصادية نتيجة لاستغلال النفوذ واستغلال أجهزة الدولة لخدمة الرجعية .

سادسا : تمزيق وحدة الصف العربى فى سوريا .

سابعا : التآمر على سلامة البلاد وأمنها .

ثامنا : انتشار الرشوة والفساد وبيع الضمائر وجعل المصالح الشخصية فوق المصلحة العامة .

تاسعا : الارتماء فى احضان أعداء العروبة والقومية العربية .

ونحن ما زلنا عند رأينا .

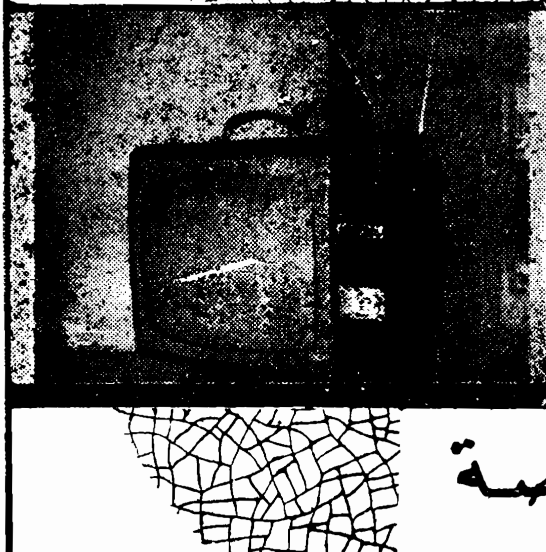
فالشعب العربى فى سوريا شعب حر أبى له أهدافه ولهآماله وهو كما عودنا يضع نصب عينيه أمنية غالية هى الوحدة العربية فهو يؤمن بها ايمانه بالحياة ويعتز بها أعتزازه بتاريخه وجهاده من اجلها وفى سبيلها .. ومن أجل هذا فنحن نؤكد انالشعب العربى فى سوريا يسير فى طريقه المرسوم .. فهو يعرف اتجاهاته واهدافه .. ولنيحيد عنها مهما أعترضته ظروف تجعله الى فترة ما غير قادر على السير فى طريقه .

ولكنه سيسير ويأتى الى نهاية الطريق ليرفع معنا علم العروبة خفاقا فى سمائها شامخا فى أنفة وعزة وكرامة .

والايام قادمة

والمستقبل لنا

وأعان الله سوريا الحبيبة .



الكتاب الماسى
قصص عربية

تقدم

مع الباعة فى كل مكان

حياة وحرمان

بقلم

أنور حجازى

من الشرق والغرب

تقـــدم

فوق الرمال العربية

بقلم

ولفريد تسيجر

عربه بتصرف

محمد محمد عبد القادر

كتب ثقافية

تقدم

طلائع النور

تأليف
محمد محمود شعبان

الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

تليفون ٤٥٣٤٦ - ٤٥٤٠٥ - ٣١٦٢٥